

أكتوبر 2014

403

السباحة إلى المنزل

رواية

تأليف: ديبورا ليڤي

ترجمة: نورة البلوشي

مراجعة: د. أحمد البكري



السباحة إلى المنزل

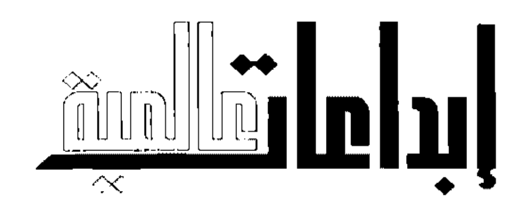
(رواية)

تـأليـف: ديبورا ليڤي

ترجمـة: نورة البلوشي

مراجعـة: د. أحمد البكري

السباحة إلى المنزل



تصدر كل شهرين عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.nccal.gov.kw

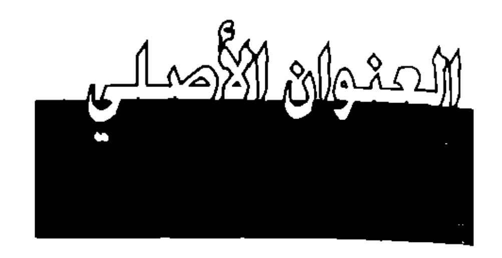
ebdaat_alamia@nccal.gov.kw

ebdaat_alamia@yahoo.com

رقم الإيداع: 2014/606

ردمك: 978-99906-0-434-4

• السباحة إلى المنزل
رواية



Swimming home

Deborah Levy

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014م

إبداعات عالمية - العدد 403

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

مقدمة

«السباحة إلى المنزل» هي الرواية الأولى للكاتبة ديبورا ليفي بعد خمسة عشر عاماً من الانقطاع عن كتابة الروايات ونشرها، وقد تم ترشيحها لجائزة مان بوكر للكتاب عام 2012.

الرواية مثيرة جداً وقصيرة وبسيطة وصادمة، ومن بين المواضيع التي تتناولها تأثير الماضي على الحاضر والسهولة التي يؤثر بها المرض العقلي على الناس الذين يبدون على ما يرام.

كما تتناول الصراعات التي تشوب الحياة الزوجية والحياة العائلية، وتتطرق لمسألة عدم الثقة بالنفس في مرحلة الشباب والكهولة، والأهم من ذلك ستكشف رواية «السباحة إلى المنزل» التأثير المدمّر للاكتئاب على الناس الذين يبدون أصحاء.

تدور أحداث رواية «السباحة إلى المنزل» في فيلا جنوب فرنسا عام 1994. في تلك الفيلا ذات المسبح يقضي الشاعر المشهور جو جاكوبس وزوجته المراسلة الحربية إيزابيل وابنتهما نينا ذات الأربعة عشر ربيعاً إجازتهم الصيفية برفقة ضيفيهما لورا صديقة إيزابيل، وزوجها ميتشيل. ما يعكر صفاء ذلك المشهد الذي يبدو مألوفاً للوهلة الأولى هو وصول ضيفة غير متوقعة على هيئة فتاة عارية تطفو في مسبح الفيلا، وهي كيتي فينش.

قد تبدو أحداث الرواية في الصفحات الأولى مألوفة لدى القارئ، حيث تدور القصة حول عائلة من الطبقة الوسطى تقضي إجازتها في جنوب فرنسا، ولكن أحداث القصة ونهايتها

أبعد ما تكون عن المألوف، حيث استخدمت الكاتبة ديبورا ليفي إطاراً تقليدياً لتقديم قصة جديدة وغريبة عن الحزن والاكتئاب، ويحوم شبح الموت على صفحات الرواية منذ الفقرة الأولى، وتتكشف الأحداث المأساوية بعد وصول الفتاة العارية.

إن أقل ما يقال عن الفتاة العارية في المسبح أنها غير مستقرة. في البداية تدّعي كيتي أن سبب وجودها في الفيلا هو وجود تضارب في الحجوزات، ولكن يتبين لاحقاً أنها تتبعت جو إلى فرنسا في محاولة منها لجعله يقرأ قصيدتها.

إن الشعر والقصائد ليسا العملين الوحيدين اللذين يجمعانها بالشاعر جو، فيجمعهما أيضاً دواء زيروكسات، وهو دواء مضاد للاكتئاب، حيث إن كيتي مريضة عقلية سابقة لم تستكمل علاجها، وجو نفسه تناول الدواء في مراهقته.

تعود جذور اكتئاب جو، الذي يعتبر مصدر إبداعه الشعري، إلى طفولته، فعندما كان في الخامسة من عمره تركه والده وحيداً في الغابة لينقذه من المعسكرات النازية لاعتقال اليهود في بولندا، وأخبره بأن عليه ألا يعود إلى المنزل أبداً. تلك الصدمة التي تلقاها جو مبكراً في حياته جعلت منه شاعراً ناجحاً، لكنها حوّلته إلى زوج فاشل.

يتضح فشل جو كزوج من خلال علاقته بزوجته إيزابيل التي تعمل كمراسلة تلفزيونية، وتغطي الحروب، وتقضي معظم وقتها في مناطق الحروب عوضاً عن قضائه في منزلها مع زوجها وابنتها.

أما ابنتهما نينا، ذات الأربعة عشر ربيعاً، فقد بدأت تلاحظ

هـذا الصيـف تأثيـر جمالها على الشـاب الفرنسـي الذي يملك مقهـى قرب الفيلا التي يسـتأجرها والدهـا، وعلى الرغم من أن الجميـع يلاحـظ غرابة أطوار كيتي لكن نينـا هي الوحيدة التي تلاحـظ خطـورة وضـع كيتـي وحالتهـا، وتحـاول أن تلفت نظر الجميع إلى ذلك، لكن يتم تجاهلها.

يقيم في الفيلا أيضاً صديقا إيزابيل، لورا وزوجها ميتشـيل، اللـذان يملكان محلاً لبيع الأسـلحة القديمة وقطع الزينة، وقد أوصلهما إنفاقهما المتهور لأموالهما إلى حافة الإفلاس.

وتراقب المشـهد كلـه من البيت المجاور عجـوز بريطانية كانت تعمل طبيبة، ونظراً لمعرفتها السـابقة بكيتي فهي تعي تماماً أن السياح قد أدخلوا أفعى إلى فيلّاهم.

منـذ البدايـة نلاحـظ أن الزيجتين سـيتم اختبارهما، وربما سـتنتهيان في سـياق أحداث الرواية، حيث يتـم التلميح لنا من خلال تساؤلات الشخصيات إلى أن إيزابيل سمحت لكيتي بالبقاء لأنهـا تريـد أن تكون كيتي آخر مسـمار يدق في نعش زواجها من جـو غيـر الوفي لهـا، ونعرف مـن أول فقرة للرواية أنه سـينتهي المطاف بجو وكيتي في السيارة، وكيتي تقود بسرعة جنونية على الطريق الجبلي المتعرج في طريق عودتهما من فندق نيجريسكو في منتصف الليل بعد أن قضيا ليلتها معاً هناك.

وبالنسـبة للزوجـين الآخريـن، يحـاول ميتشـيل أن يتقبـل حقيقـة انهيـار تجارتـه والديون المتراكمـة التي تركهـا وراءه في لندن، ورغم ذلك كله لا تزال شـهيته مفتوحة للطعام، وما زالت ديونه تتراكم في مقهى كلود، كما لا يمكنه دفع ثمن وقود سيارته

من طراز مرسيدس-بينز التي استأجرها من المطار. ونعرف لاحقاً أن ميتشيل ولورا ينفقان ما تبقى لهما من أموال في بطاقاتهما الائتمانية قبل أن يعودا إلى لندن ليبيعا بيتهما، وربما يتطلقان. وبينما يقضي ميتشيل وقته في اصطياد الأرانب تقضي لورا وقتها بتناول المشروبات والتخطيط لهروبها من زوجها، وتعلُّم لغة اليوروبا.

أحداث الرواية تنبئ القارئ بوقوع حدث مأساوي لإحدى الشخصيات، لكن النهاية المأساوية ليست متوقعة، وعلى القارئ التحلي بالصبر ليعرفها، لأن الأحداث المهمة تجري بين السطور والفصول المتتالية.

نلاحظ أن النفحة المسرحية طاغية على بناء القصة، وهو ليس غريباً على الكاتبة ديبورا ليفي التي هي بالأصل كاتبة مسرحية، بالإضافة إلى كونها روائية وشاعرة، فقد كتبت عدة مسرحيات مثّلتها على المسرح فرقة شكسبير الملكية المسرحية، كما كتبت العديد من المسرحيات التي نشرت في كتابها «مسرحيات ليفي1».

يبدو بناء «السباحة إلى المنزل» وكأنه بناء مسرحية بوجود العناصر الرئيسة للمسرحيات، كالمسبح، الذي يحل محل خشبة المسرح وتجري فيه وحوله أهم الأحداث، ويوجد خلف المسبح منزل تدور داخله الأحداث الأكثر حميمية، كما أن الفصول القصيرة تتوالى وتتطور كفصول المسرحية، لكنها تنساب كالروايات.

رغم الأحداث المأساوية في الرواية لكن وجود بعض

الشخصيات الكوميدية يمد القصة بقليل من الحس الكوميدي، ويكونون كالمهرجين الذين غالباً ما يوجدون في مسرحيات شكسبير، وفي الرواية هم ثلاث شخصيات: الشخصية الأولى هو مدمن الحشيش والمشرف على الفيلا جورغين، والشخصية الثانية هي رفيقه كلود صاحب المقهى، والشخصية الثالثة هي الجارة التي تتجسس على السياح في الفيلا من شرفة فيلّاها المجاورة لهم، وهي العجوز ماديلين شيريدان.

أما بالنسبة لأسلوب القصة فجميع التفاصيل التي قد تبدو غير مهمة سيتضح لاحقاً أنها قطع من اللغز تجتمع لاحقاً لتكشفه للقارئ.

فصول الرواية قصيرة، لكن أحداثها سريعة، وفي كل فصل تصل حبكة ما تكون جزءاً من الرواية إلى ذروتها ثم تهدأ، وخلال تطور الأحداث يتمكن القارئ من ربط تلك الأجزاء معاً. الكتاب كله يبدو على وشك الانفجار في كل صفحة، وعلى القارئ أن يقاوم رغبته بالإسراع في القراءة ليكتشف ما سيحدث بعد مشوار كيتي وجو في السيارة على الجبل، لأن «السباحة إلى المنزل» يجب أن تقرأ بتمهل.

إن العديد من أحداث الرواية المهمة تجري في النقلات بين الفصول، لدرجة أنه يمكن للقارئ ألا يلاحظ مدى دقة الإعداد لها، فجميع التفاصيل التي تبدو غير مهمة تكون خيوطاً مهمة في الرواية، وهناك مزحة عن دب وتشبيه حوض السباحة بالقبر والحجر بثغرة في المنتصف، كلها أجزاء مهمة في الحبكة، ومن خلالها تضيف ليفي أبعاداً معقدة تسبر أغوار السطح المشمس

للرواية لتصل إلى بعد أكثر ظلمة وأهمية.

في الصفحة الأولى للرواية يدور حوار بين جو وكيتي أثناء قيادة الأخيرة للسيارة بسرعة على الجبل، ستتكرر تلك الفقرة في سياق الرواية مع القليل من الإضافات والتغييرات، ولن نفهم ما تعنيه تلك الفقرة إلا عندما نعرف المزيد عن الشخصيات.

في تلك الفقرة تقول كيتي إن «الحياة تستحق العيش فقط لأننا نأمل أن أمورنا ستتحسن، وأننا جميعاً سنصل إلى منازلنا سالمين»، وتكررها كيتي أكثر من مرة، وتضيف: «لكنك حاولت ولم تصل إلى منزلك بسلام، بل إنك لم تصل على الإطلاق».

في هذه الرواية فكرة المنزل فكرة غير واضحة، والسلامة فكرة مستبعدة، ويغلق القارئ الكتاب وهو راض عن القصة، وفي الوقت ذاته توتَّرَ منها.

هي تجربة ممتعة ومقلقة قليلاً، تقذف بنا في أعماق رواية ليفي التي رشحت لنيل جائزة بوكر.

المترجمة

«صباح كل يوم وفي كل عائلة، برجالها ونسائها وأطفالها، يروي الجميع أحلامهم فيما بينهم إن لم يكن لديهم شيء أفضل يفعلونه، جميعنا نرزح تحت رحمة الحلم، وندين لأنفسنا بتسليم قواه إلى حالة اليقظة».

الثورة السيريالية، رقم ١، ديسمبر ١٩٢٤

الألب البحرية، فرنسا
يوليو 1994
طريق جبلي
منتصف الليل

عندما رفعت كيتي فينش يدها عن مقود السـيارة، وأخبرته بأنها تحبه، لم يعد بإمكانه معرفة ما إذا كانت تهدده أم أنها تجاذبه أطراف الحديث. بدأ فستانها الحريري ينزلق عن كتفيها وهي تنحني بجسدها على المقود.

عبَر أحد الأرانب الطريق فانحرفت السيارة، سمع نفسه يقول: «لماذا لا تحزمين حقيبة الظهر بأمتعتك وتذهبين لرؤية حقول الخشخاش في باكستان كما قلت إنك تتمنين؟».

قالت: «نعم».

اشـتمَّ رائحة البنزين، انقضّت يداها على عجلة القيادة كما انقضّت طيور النورس على فرائسها عندما راقبتها معه من نافذة غرفتهما في فندق نيجريسكو منذ ساعتين.

طلبتْ منه أن يفتح نافذتها لكي تسمع أصوات الحشرات وهي تنادي بعضها في الغابة، أنزل زجاج النافذة، وطلب منها بلطف أن تركز عينيها على الطريق.

ومرة أخرى قالـــت: «نعم»، وركزت عينيهـــا على الطريق، ثم قالت له: «إن الليالي لطالما كانت لطيفة في الريفيرا الفرنســية، بينما النهار يكون دوماً قاسياً وتفوح منه رائحة الأموال».

أخرج رأســه من النافذة، وأحسّ بنســيم الجبل البارد يلسع شـــفتيه. لقد عاش النـــاس قديماً في هذه الغابـــة التي تحولت الآن إلى شارع، وهم يدركون أن الماضـي يعيش بين الصخور وفي الأشـــجار، وأن الرغبة تدفعهم للتصرف بشـــكل غريب وبغضب وغموض وفوضوية.

كان الاقتـــراب الحميم مـــن كيتي فينش متعـــة وألماً وصدمة وتجريـــة، لكنـــه كان في الغالـــب غلطة، ومرة أخـــرى ألحّ عليها الرجاء بأن توصله بسلام إلى منزله، إلى زوجته وابنته.

ومـــرة أخرى أجابت بنعـــم، وقالت: «الحياة تســـتحق العيش لمجرد أننا نأمل بأن أمورنا ستتحســـن، وأننا جميعاً سنصل إلى منازلنا سالمين».

السبت
الحياة البرية

بدا مسـبح فيلا السـياح كالبركة وليس كالمسابح ذات اللون الأزرق الباهت التـي نراها في الكتيبات السـياحية، بدا وكأنه بركة مسـتطيلة الشكل نحتت من الحجارة بأيدي عائلة إيطالية تعيـش في منطقـة «الأنتيب»، وفي الجانب العميق من المسـبح حيث يلقي صف من أشـجار الصنوبـر بظلاله على الماء ويبقيه فاتراً كان يطفو ذلك الجسد.

«هل هو دب؟»، أشـار جو جاكوبس إشارة مبهمة باتجاه الماء، ثم أحس بحرارة الشـمس تخترق قميصه الذي صنعه له خياطه الهندوسي من الحرير الخالص، وكان ظهره يحترق من الحرارة، حتى الشـوارع بدت وكأنها تذوب في موجة الحر تلك في شـهر يوليو.

ابنته نينا جاكوبس ذات الأربعة عشـر عاماً، التي كانت تقف على حافة المسـبح مرتدية ثوب السـباحة الجديد ذا القطعتين المزين برسـومات الكـرز، ألقت بنظرة سـريعة وقلقـة باتجاه والدتهـا. كانت إيزابيل جاكوبس تفتح سـحاب بنطلونها الجينز وكأنها على وشـك أن تقفز إلى المسـبح، وفـي الوقت ذاته كان بإمكانها رؤية ميتشـيل ولورا، صديقَي العائلة اللذين يشاركانهم

السكن في الفيلا طوال الصيف وهما يطرحان أكواب الشاي من أيديهما ويمشيان باتجاه السلم الحجري الذي يؤدي إلى الجانب الضحل من المسبح.

خلعت لورا، وهي عملاقة نحيفة يبلغ طولها ستة أقدام وثلاث بوصات، خُفّيها وركلتهما جانباً، وخاضت في الماء حتى بلغ ركبتيها، ارتطمت عوامة صفراء قديمة على شكل فراشة بأطراف المسبح المغطى بالطحالب، وبعثرت النحل الذي كان يمر بمختلف مراحل الموت في الماء.

«ماذا تظنين هذا الشيء يا إيزابيل؟»، كان باستطاعة نينا أن ترى من مكانها أن ذلك الجسد يعود لامرأة تسبح عارية تحت سطح الماء، وجهها إلى الأسفل ويداها ممدودتان إلى جانبيها وكأنها قنديل البحر، وشعرها يطفو على جانبيها كالطحالب.

ردت إيزابيل جاكوبس بنبرة تخلو من أي عاطفة وبالأسلوب الذي يستخدمه مراسلو الحروب: «يعتقد جوزيف أنه دب».

«لو أنه دب فسأضطر إلى إطلاق النار عليه»، كان ميتشيل قد اشترى مؤخراً مسدسين فارسيين عتيقين من سوق الأغراض المستعملة في مدينة نيس، ومنذ ذلك الحين وهو يفكر بإطلاق الرصاص على أي شيء.

أمسِ دار نقاش بينهم جميعاً حول مقال صحافي تحدث عن دبٍّ يزن أربعة وتسعين كيلوجرام نزل من جبال لوس أنجلوس وغطس في حوض سباحة أحد ممثلي هوليوود، وحسب إدارة رعاية الحيوانات في لوس أنجلوس فإن الدب فعل ذلك لأنه كان يشعر بالحر، وقد أبلغ الممثل السلطات المختصة عنه، حيث تم تخدير الدب عن طريق إبر مهدئة أطلقت من بندقية، وبعد ذلك

أعيد إطلاق سراحه في الجبال القريبة.

تساءل جو جاكوبس بصوتٍ عالٍ عن شعور أي شخص لو تمت تهدئته بالعقاقير ثم استمر بالتعثر في المشي خلال طريق عودته إلى المنزل؛ هل وصل الدب إلى منزله؟ هل شعر بالدوار وأصابه النسيان وبدأ بالهلوسة؟ هل من المحتمل أن المادة المسكّنة التي تم ملء الإبرة بها، والتي تعرف أيضاً باسم «الصيد الكيميائي»، قد أصابت أرجل الدب بالرجفة والرعدة؟ هل ساعدت المادة المهدئة الدب على مواجهة الأحداث الصعبة في الحياة، ومن ثم خدّرت ذهنه إلى درجة جعلته يتوسل للسلطات بأن تلقي له بطريدة صغيرة تم تخديرها بذلك العقار المهدئ؟

لم يوقف جو سيل التساؤلات تلك إلا بعد أن تدخل ميتشيل، فحسب علم ميتشيل إنه من الصعب جداً إسكات ذلك الشاعر الأحمق الذي يعرفه قرّاؤه بالأحرف الأولى من اسمه (ج.ه.ج)، ويعرفه الجميع، ما عدا زوجته، باسم جو.

راقبت نينا أمها وهي تغوص في الماء الذي اخضرّ لونه بسبب الطحالب، وتسبح باتجاه المرأة. إن إنقاذ الأرواح التي تسكن الأجساد المنتفخة الطافية في الأنهار هو العمل الذي كانت تمارسه أمها طوال الوقت، وعلى ما يبدو فإن استفتاء شعبية البرامج التلفزيونية دائماً ما يرتفع عندما تظهر أمها في نشرات الأخبار. لقد اختفت والدتها في شمال إيرلندا ولبنان والكويت، لكنها رجعت مرة أخرى إليهم، وكأن الأمر كان مجرد رحلة قصيرة إلى بقالة الحي لشراء الحليب.

كانت يد إيزابيل جاكوبس على وشك الإمساك بكاحل الشخص الذي يطفو في حوض السباحة، لكن رشة ماء عنيفة ومفاجئة

جعلت نينا تجري إلى والدها الذي أمسك بكتفها المصاب بحروق من الشـــمس، مما جعلها تصرخ، وعندما خرج إلى السطح رأسٌ بفم فاغر يبحث عن هواء يتنفســـه ارتعبت نينا قليلاً، وخُيّل لها أن الرأس يجأر كالدبّ.

خرجت من الحوض امرأة بشــعر مبلــول يصل إلى منتصف ظهرها، وركضت إلى أحد الكراسي البلاستيكية بجانب المسبح، بـــدت وكأنها في أوائل العشـــرينيات من عمرهـــا، ولكن كان من الصعـــب التأكد من ذلـــك، لأنها كانت تركض من كرســـي لآخر بشـــكل جنوني وهي تبحث عن ردائها الذي كان قد ســـقط على الأرض المرصوفـــة بالحجارة، ولم يســـاعدها أحـــد لأنهم كانوا جميعاً يحدقون بجســـدها العاري. أحست نينا بالدوار في ذلك الحر الشديد، وخنقتها رائحة زهرة «الخزامى» الحلوة التي هبّت نحوها، واختلط صوت لهاث المرأة بصوت أزيز النحل الذي يحوم حـــول الأزهار الذابلـــة. ظنت أنها بدأت تصاب بدوار الشـــمس لأنها أحســـت بأنها ستصاب بالإغماء، ورغم الغشاوة التي غطت عينيها تمكّنت من ملاحظة جســـد المـــرأة المكتنز رغم نحافتها، ودقّة ســـاقيها مثل سيقان الدمى التي كانت تلعب بها وتثنيها في طفولتها. وأما الشيء الوحيد الذي بدا حقيقياً في تلك المرأة فهو لونها الذي يلمع في الشـــمس. كل ذلك جعل نينا تغطي صدرها بذراعيها وتحدّب ظهرها لتحاول أن تجعل جسدها يختفي.

«ها هو رداؤك»، أشـــار جو جاكوبس إلى كومة قماش مجعدة من القطن الأزرق ملقاة تحت الكرسي، وقتها كان الجميع يحدّق نحوها لفترة طويلة أثارت إحراج الجميع. أمسكت المرأة بالكومة بسرعة، وانزلق الثوب الرقيق على جسدها.

«شكراً، وبالمناسبة فإن اسمي هو كيتي فينش».

في البداية ظن الجميع أن ما سمعوه هو سلسلة من الكلمات والتمتمـــات غير المفهومة، إلى أن وصلت إلى جملة كيتي فينش، فقد كانوا متلهفين لمعرفة هويتها.

في تلك اللحظة اســتوعبت نينا أن أمها لا تزال في المســبح، وعندما صعدت على الدرج الحجري كان ثوب الســباحة مغطى بإبر الصنوبر الفضّية.

«وأنا إيزابيل، ظن زوجي أنك دب من الدببة».

لوى جو جاكوبس شفتيه محاولاً كتم ضحكته:

«بالطبع لم أعتقد أنها دب».

كانت عينا كيتي فينش رماديتين كلون نوافذ سيارة المرسيدس التي استأجرها ميتشيل، وتركها واقفة على الحصا أمام الفيلا.

«أرجو ألّا تمانعوا في اســتخدامي المســبح، فقد وصلت للتو وكان الحر شــديداً جداً، ويبدو أن هناك خطــأً ما في مواعيد استئجار الفيلا».

«أي خطأ؟»، حدقت لورا بالشابة كما لو أنها قد تسلّمت لتوها مخالفة مرورية.

«حسناً، ظننت أنني ســأمكث هنا بداية من يوم السبت ولمدة أسبوعين، لكن المشرف على الفيلا..»، قاطعها ميتشيل قائلاً: «لو كنت مكانك لما أسميت ذلك المدمن الكسول جورغين بالمشرف».

كان مجرد ذكر اسم جورغين يثير حنق ميتشيل واشمئزازه.

«بالفعل، يقول جورغين إني أخطأت بالتواريخ وسأخسر المبلغ الذي دفعته مسبقاً».

كان جورغــين ألماني الجنســية، ويتبع النمــط «الهيبي» في

حياته، ولـم يكن دقيقاً في كل تصرفاته، كما أنه يصف نفسه بأنه «رجل الطبيعة»، ودائماً ما ينكبُّ على قراءة رواية «سيدارثا» لهيرمان هيس.

لوح ميتشيل بإصبعه تجاهها محذراً، وقال: «هناك ما هو أسوأ من خسارة المبلغ المدفوع مقدّماً، فقد كنّا على وشك تخديرك ونقلك إلى أعلى الجبل».

رفعت كيتي رجلها اليسرى وببطء سحبت شوكة علقت بأسفل قدمها، بحثت عيناها الرماديتان عن نينا التي كانت لا تزال مختبئة خلف والدها، ثم ابتسمت.

«أعجبني ثوب السباحة الذي ترتدينه»، كانت أسنانها الأمامية عوجاء ومائلة على بعضها، وقد تحول شعرها الذي بدأ يجفّ إلى خصلات نحاسية مجعّدة. سألتْها: «ما اسمك؟»، قالت: «نينا»، فأردفت: «هل تعتقدين أنني أشبه الدب يا نينا؟»، وأطبقت كفها اليمنى وكأنها تقلّد مخالب الحيوانات، ورفعتها إلى السماء الخالية من الغيوم، وأخذت تلوح بها في الهواء متظاهرة بأنها دب. كان لون صبغ أظافرها أخضر غامقاً.

هزت نينا رأسها، وبلعت ريقها فغصّت به، وصارت تسعل. بدأ الجميع بالجلوس، فجلس ميتشيل الأكثر بدانة على الكرسي الأزرق القبيح لأنه كان الأكبر حجماً، وجلست لورا على الكرسي الوردي المصنوع من الخيزران، وجلس كل من جو وإيزابيل على الكراسي البلاستيكية، أما نينا فجلست على طرف كرسي والدها، وأخذت تعبث بخواتم أصابع الرجل الخمس الفضية التي أهداها لها جورغين ذلك الصباح.

جلسوا جميعاً في الظل، ما عدا كيتي التي كانت تجلس

القرفصاء بشكل غريب على الأرضية الحجرية الحارقة.

«لا يوجد مكان لتجلسي فيه، سأبحث لك عن كرسي»، عصرت إيزابيل الماء من أطراف شعرها الأسود المبتلّ، وبرقت قطرات الماء على كتفيها، ثم انزلقت على ذراعيها كالأفاعي، هزت كيتي رأسها واحمرت وجنتاها: «لا تزعجي نفسك، أ.. أ.. أ.. أرجوك، أنا فقط أنتظر عودة جورغين ليخبرني باسم فندق يمكنني الإقامة فيه، وسأغادر على الفور».

«بالطبع يجب أن تجلسي».

راقبت لورا - التي كانت تشعر بالحيرة والقلق - إيزابيل وهي تسحب كرسياً خشبياً ثقيلاً مغطى بالغبار وخيوط العنكبوت باتجاه المسبح، وكانت هناك أغراض مبعثرة في طريقها؛ دلو أحمر وأصيص نباتات مكسور ومظلتان كبيرتان مثبتتان في الأرض بالإسمنت. لم يساعدها أحد لأنهم لم يكونوا متأكدين مما كانت تفعل، بعدها وضعت إيزابيل - التي تمكنت بطريقة ما من تثبيت شعرها المبلل بمشبك شعر على شكل زنبقة - الكرسيّ الخشبي بين كرسيّها وكرسي زوجها.

ألقت كيتي فينش بنظرة خاطفة قلقة باتجاه إيزابيل ثم باتجاه جو، وكأنها لم تفهم إن كان يتم عرض الكرسي عليها للجلوس أم إجبارها على الجلوس عليه. ظلت كيتي تزيح خيوط العنكبوت بطرف ردائها لفترة طويلة ثم جلست أخيراً. وضعت لورا يديها في حضنها وشبكتهما وكأنها تستعد لإجراء مقابلة متقدم للحصول على وظيفة.

«هل سبق لك أن زرت هذا المكان؟».

«نعم، لقد كنت أتردد على هذا المكان لسنوات».

سألها ميتشيل: «هل تعملين؟»، ولفظ بذرة زيتون من فمه في إناء.

«نوعاً ما، أنا خبيرة نباتات».

تحسس جو جرح الحلاقة الصغير على ذقنه، وابتسم لها، ثم قال: «توجد مصطلحات لطيفة وغريبة في مهنتك».

للمفاجأة كان صوته رقيقاً، وكأنه استشعر أن كيتي فينش شعرت بالإهانة من طريقة استجواب لورا وميتشيل لها.

«بالطبع! يحب جو الكلمات الغريبة لأنه شاعر»، لفظ ميتشيل كلمة «الغريبة» بطريقة مفخّمة مبالغ فيها.

استرخى جو، وأسند ظهره على الكرسي، وأغلق عينيه، وقال: «تجاهليه يا كيتي»، وبدا من صوته أنه أصيب بجرح بطريقة لا يمكن تفسيرها، ثم قال وهو يقلد طريقة ميتشيل عندما لفظ كلمة «الغريبة»: «كل شيء يبدو غريباً لميتشيل، فذلك يشعره بأنه أفضل من الجميع».

التهم ميتشيل خمس حبات زيتون، الواحدة تلو الأخرى، ثم بصق بذورها باتجاه جو، وكأنها طلقات رصاص صغيرة من إحدى بنادقه المهملة.

«إذن، في هذه الأثناء»، وانحنى جو بجسده إلى الأمام: «أيمكنكِ أن تخبرينا ما تعرفينه عن فلقات أوراق النباتات؟».

«حسناً»، قالتها كيتي، وغمزت لنينا بعينها اليمنى، وأجابت دون تأتأة: «الفلقات هي الأوراق الأولى التي تتكون على البذور».

«صحيح، والآن لننتقل إلى كلمتي المفضلة.. كيف تصفين ورقة النبات؟».

قاطعتهما لورا بصرامة: «يوجد العديد من الفنادق في هذه

المنطقة كيتـــي، لذا من الأفضل أن تذهبـــي لتبحثي عن أحدها للمبيت فيه».

وصل جورغين أخيراً، وقد ربط ضفائره الفضّية للخلف كذيل الفرس، دخل من البوابة، ثم أخبرهم بأن جميع الفنادق محجوزة بالكامل، ولن توجد غرف شاغرة حتى يوم الخميس.

«إذن، يجب أن تمكثي معنا حتى يوم الخميس»، قالت إيزابيل ذلك بشـــكل غامض، وكأنها لم تكـــن تصدق الكلمات التي تخرج من فمها: «أعتقد أن هناك غرفة إضافية في الجزء الخلفي من المنزل».

قطّبت كيتي حاجبيها، وأســـندت ظهرها إلى الكرســـي الذي جلســـت عليه للتو، ثم قالت: «حسناً.. شكراً، هل الجميع موافق على ذلك؟ إن كان أحد يمانع فرجاءً أخبروني».

بـــدا لنينا أنها تريدهـــم أن يمانعوا، فقد كانـــت وجنتا كيتي فينش محمرتـــين، وكانت أصابع قدميها مشـــدودة ومطبقة في الوقت ذاته، أحســـت نينا بدقات قلبها تتسارع بشكل جنوني في صدرها، نظرت إلى لورا، ولاحظت أنها تلوي كفّيها وتعصرهما. كانت لورا على وشـــك أن تقول إنها تمانع، فهي وميتشـــيل أغلقا متجرهما في مدينة إيوســـتون طوال الصيـــف، وهما على يقين بأن نوافذه التي هشمها اللصوص ومدمنو المخدرات ثلاث مرات على الأقل ذلك العام ســـيتم تهشـــيمها مرة أخرى عندما تنتهي إجازتهما.

لقد حضرا إلى مدينة الألب البحرية للهروب من يأسهما من تصليح الزجاج المهشـــم المرة تلو الأخـــرى. لم تجد لورا الكلمات لتعبـــر عن اعتراضها، فالفتاة كانت كنافـــذة بانتظار أحد ما أن

يعبرها، وأن يسبر غور ما يقع خلفها، كانت كنافذة مشروخة على ما يبدو، ولم تكن لورا متأكدة من ذلك، ولكن بدا لها أن جو جاكوبس قد أقحم قدمه في الشرخ بالفعل، وساعدته زوجته على ذلك. تنحنحت وكانت على وشك أن تعبر عما يدور في رأسها، لكنه من الصعب التعبير عن تلك الأفكار. سبقها المشرف على الفيلا وتكلم.

«إذن كيتي كيت.. هل أحمل حقائبك إلى الغرفة؟».

نظر الجميع إلى المكان الذي يشير إليه جورغين بأصابعه المشرّبة بصبغة النيكوتين الصفراء، حيث كانت توجد حقيبتان من القماش الأزرق ملقاتان على الجانب الأيمن من باب مدخل الفيلا.

«شكراً يا جورغين»، شكرته كيتي، وأشاحت بنظرها عنه وكأنه خادمها الشخصي.

انحنى وحمل الحقائب.

«ما هذه الأعشاب؟»، قالها جورغين وهو يحمل كومة من النباتات المزهرة التي كانت محشورة في الحقيبة الثانية.

«لقد وجدت تلك الأعشاب في فناء الكنيسة بجانب مقهى كلود».

بدا أن كلامها أثار انبهار جورغين.

«يجب أن تسميها نبتة كيتي كيت، من الحقائق التاريخية أن مكتشفي النباتات كانوا غالباً ما يسمون النباتات التي يجدونها بأسمائهم».

«نعم»، قالتها كيتي وحدّقت خلفه في عيني جو جاكوبس الداكنتين، وكأنها تقول: «إن جورغين أطلق عليّ اسماً مميزاً هو كيتي كيت».

اتجهت إيزابيل إلى طرف المسبح وغاصت فيه، وأثناء سباحتها تحت المـــاء وذراعاها ممدودتان أمامها رأت ســـاعة يدها ملقاة على أرض المســـبح، انقلبت وانتشلتها من فوق القرميد الأخضر، وعندما خرجت للســـطح رأت العجـــوز الإنجليزية التي تقيم في المنزل المجاور تلوّح لها بيدها من شـــرفة منزلها. لوحت إيزابيل بيدهـــا ردّاً عليها قبل أن تدرك أن ماديلين شـــيريدان كانت تلوح لميتشيل الذي كان ينادي باسمها.

تفسير ابتسامة

«ماديلين»

لقد كان الرجل البدين الذي يحب الأسلحة يصرخ منادياً عليها، رفعت ماديلين شيريدان ذراعها المصابة بالتهاب المفاصل، واستطاعت بالكاد أن تلوح له بإصبعين معوجّين، وهي تجلس على كرسيّها المصنوع من القش. لقد تحول جسمها إلى كومة من الأعضاء العليلة، فأثناء دراستها في كلية الطب عرفت أن لديها سبعةً وعشرين عظماً في كل يد، منها ثمانية عظام في الرسغ وخمسة في الكف، كما عرفت أن أصابعها تنتهي بأطراف الأعصاب، لكنْ مجرد تحريك إصبعين الآن يتطلب الكثير من الجهد.

أرادت ماديلين أن تذكّر جورغين، الذي كانت تراقبه وهو يحمل حقائب كيتي فينش إلى داخل الفيلا، بأن عيد ميلادها يحل بعد ستة أيام، ولكنها خشيت أن تبدو أمام السياح الإنجليز وكأنها تتوسل إليه لتحظى برفقته. خُيّل إليها لوهلة أنها ربما تكون قد ماتت بالفعل، وأنها شهدت الوصول الدرامي للشابة إلى الفيلا من موقع الموتى، وذلك منذ أربعة أشهر في شهر مارس عندما كانت كيتي فينش تمكث في الفيلا وحدها (لدراسة النباتات الجبلية على ما يبدو)، وقد قالت لماديلين شيريدان أن تجعل

النســيم يتسرب إلى شــجيرات الطماطم في حديقتها لأن ذلك سيساعد تلك الشجيرات على تقوية سيقانها، وعرضت عليها أن تخفف أوراق الشجيرات، وبالفعل قامت كيتي بذلك، لكنها كانت تتمتم لنفسـها طوال الوقت بحروف ســاكنة، لفظتها بقوة مثل: باه باه كاه كاه، وبما أن مادلين شيريدان كانت تؤمن بأنه على الناس أن يمروا بمعاناة حقيقية قبل أن يستسـلموا لفقدان عقولهم طلبت منها بحـزم أن تكف عن التمتمة، يجب عليها أن تتوقف، يجب عليها أن تتوقــف فوراً. واليوم، الذي يصادف يوم السـبت، عاد ذلك الصوت إلى فرنسا ليعذبها وهو يسكن إحدى غرف الفيلا.

«مادلين ســأطهو اللحـم الليلة، لم لا تنضمـين إلينا لتناول العشاء؟».

كانت بالـكاد ترى قمة رأس ميتشـيل الوردية الصلعاء وهي تغمض عينيها قليلاً لتحميهما من الشـمس التي كانت تواجهها، فمادلين شـيريدان، التــي كانت تحب اللحم، وغالبـاً ما تكون وحيدة في المساء، تساءلت لنفسها إن كانت تملك الإرادة لرفض دعوة ميتشـيل، ظنّت أنها تسـتطيع ذلك، ولكـن عندما يعرض الأزواج المأوى والطعام للمشـردين والذين يشعرون بالوحدة فلا يعني ذلك أنهم يتبنونهم، فهم يلعبون معهم ويداعبونهم، وعندما ينتهـون من ذلك يقولـون لضيوفهم الذين تقطعت بهم السـبل، وبشـتى الطرق الملتويـة، بأن عليهم المغـادرة. إضافة إلى ذلك، يحـرص الأزواج على العـودة إلى مهمة محاولة تدمير شـركاء حياتهم وهم يتظاهرون بمراعاة مصالحهم، ويُعتبَر ضيف واحد مجرد وسيلة لصرف الانتباه عن تلك المهمة.

«مادلين».

بدا ميتشيل أكثر قلقاً من المعتاد، أمسِ قال لها إنه لمح كيث ريتشاردز يشرب البيبسي في فندق «فيلفرانش سور مير»، وكان متلهفاً للحصول على توقيعه، لكنه لم يفعل في نهاية المطاف، لأنه وحسب ما قال «لقد كان الشاعر الأحمق معي، وهددني بأن يقرعني برأسه لأنني لا أتصرف بشكل طبيعي».

كان ميتشيل بذراعيه المترهلتين الورديتين بلون برغوث البحر يسليها عندما يعبس ويتذمر من أن جو جاكوبس لا ينتمي إلى فئة الشعراء الذين يتأملون القمر دائماً ويهملون لياقتهم، إن جو لائق جسدياً، لدرجة أنه قد يتمكن من رفع خزانة ملابس بأسنانه، ولا سيما إذا كانت داخلها امرأة.

عندما وصل السياح الإنجليز إلى المكان منذ أسبوعين، فإن جو جاكوبس (الذي يكتب حروفه الأولى ج.ه.ج على كتبه، وإن كانت مادلين لم تسمع عنه من قبل) قد طرق بابها لاستعارة بعض الملح، كان يرتدي سترة شتوية في أكثر أيام السنة حرارة، وعندما سألته عن السبب، قال لها إن اليوم يصادف عيد ميلاد أخته، وهو دائماً يرتدي السترة ليظهر احترامه لها.

وجدت هي الأمر مسلياً، لأن بالها كان مشغولاً بعيد ميلادها أيضاً، وعلى الرغم من أن سترته كانت ملائمة لجنازة أكثر من عيد ميلاد لكنه كان جذاباً ولطيفاً، لدرجة أنها سألته إذا ما كان يريد أن يتذوق حساء اللوز الأندلسي الذي أعدته مسبقاً. عندما تمتم: «كم هذا لطيف منك عزيزتي» سكبت له كمية سخية من الحساء في إحدى طاساتها السيراميكية المفضلة، ودعته ليتناولها على شرفتها، لكنّ أمراً مريعاً حدث حينئذ، فبعد

أن تناول جو القليل من الحســاء أحس بشــيء يشتبك بأسنانه، واكتشــف بعدها أن ذلك الشيء هو شــعرها، فقد وجدت كتلة فضيّة من الشعر طريقها إلى الطاسة.

لم تفهم مادلين لماذا شعر جو بالإهانة الشديدة رغم اعتذارها وعدم فهمها لكيفية وصول تلك الكتلة إلى هناك، فقد كانت يداه ترتعدان بشــدة، ودفع بالطاســة بعيداً عنه بقوة جعلت الحساء ينســكب على سترته المخططة السخيفة وجاكيته المبطن بقماش مــن الحرير الــوردي الزاهي. ظنّت أنه لكونه شــاعراً فقد كان بإمكانــه أن يكون أكثر لباقة، كأن يقول لها: «إن تناول حســائك كان كتذوق سحابة».

«مادلين».. لم يستطع ميتشيل أن يلفظ اسمها بشكل صحيح، ربما لأن اســمه هو الآخر كان ســخيفاً، أو ربمــا أرعبته فكرة العيــش مع كيتي فينش، وهي لم تتفاجأ، بل أرخت جفنيها حتى أصبحت عيناها بالكاد مفتوحتين وهي تســتمتع بمنظر قدميها القبيحتــين الحافيتين. إن عــدم ارتداء جــوارب أو أحذية أمر مبهج جداً، فحتى بعد خمســة عشر عاماً من العيش في فرنسا، وانتزاعها من مسقط رأسها ولغتها الأم، فإن السعادة التي تحس بها وهي حافية القدمين أكثر ما يشعرها بالامتنان، إنها تستطيع أن تعيش دون شــريحة لحم طرية من ميتشيل، وستكون شجاعة بشكل جنوني إذا خاطرت بقضاء أمسية برفقة كيتي فينش التي تتظاهر بأنها لم تلتق بمادلين قط.

وفي الوقت الحالي، كانت كيتي منهمكة جداً مع نينا جاكوبس بإزالــة أكــواز الصنوبر من المســبح، وكان من المســتحيل أيضاً أن مادلين جاكوبس، التي ســتبلغ الثمانين من العمر بعد ســتة

أيام، ستلبي رغبتهم، وستجلس كالعجائز الوقورات إلى طاولة الطعام أثناء العشاء في فيلا السياح، على ذات الطاولة التي اشتراها جورغين من سوق الأغراض المستعملة وصقلها بالشمع والبارافين، والأدهى من ذلك أنه صقلها وهو يرتدي سرواله الداخلي بسبب موجة الحر، لذا اضطرت أن تشيح بنظرها عنه وهو يتصبب عرقاً مرتدياً ما سمته بكل لباقة «ملابس داخلية».

كان نسرٌ ما يحوم في السماء، من المؤكد أنه رأى الفئران التي جرت عبر العشب غير المشذب في البستان.

صرّحت بأعذارها لميتشيل، لكنه بدا وكأنه لم يسمعها، كان يراقب جو جاكوبس وهو يختفي داخل الفيلا ليبحث عن قبعة، فيبدو أن كيتي فينش تنوي أخذ الشاعر الإنجليزي في جولة لكي تريه الأشجار.

لم تكن مادلين شيريدان متأكدة من ذلك، ولكنها ظنت أن الفتاة المجنونة ذات الشعر الأحمر الذي يحيط برأسها، ويبرق في الشمس كهالة من النور، كانت تبتسم لها.

وباستخدام لغة مراسلي الحروب، وهي تعلم أن تلك مهنة إيزابيل جاكوبس، فإن أنسب تعبير يمكن استخدامه هو أن كيتي فينش كانت تبتسم لها بنوايا عدوانية.

درس في علم النباتات

كانت هناك لافتات في كل مكان تشير إلى أن البستان أملاك خاصة، لكن كيتي أكدت معرفتها الشخصية بالمزارع، وبأنه لن يطلق الكلاب عليهم، وطوال عشرين دقيقة أخذت تشير إلى الأشجار التي كانت في نظرها «لا تبدو في أحسن حال».

حاول جو جاكوبس أن يحمي عينيه من الشمس بيديه المكسوّتين بعضّات البعوض، وقال وهو يحدّق في عينيها الرماديتين البراقتين: «هل تراقبين الأشجار المعطوبة فقط؟»، قالت: «نعم، أعتقد ذلك»، كان مقتنعاً أنه يسمع صوت حيوان ما بين الأعشاب، وأخبرها بأن الصوت يبدو وكأنه صوت كلب.

«لا تقلق بشأن الكلاب، فالمُزارع لديه 2 شجرة زيتون في منطقة جراس، لذا هو مشغول جداً، ولا يملك الوقت لأن يطلق الكلاب علينا».

تمتم جو: «حسناً، أعتقد أن هذا الكم من أشجار الزيتون سيبقيه مشغولاً».

تكوم شعر جو الأسود المتموج الذي كساه الشيب حول أذنيه، وبدأت قبعة القش المهترئة تنزلق من فوق رأسه، ولذا اضطرت كيتي لأن تركض خلفه كي تلتقطها.

«شجرتان ليستا بالعدد الكبير على الإطلاق».

انحنت هي لتتفحص بعض الأزهار البرية التي تنمو بين الأعشاب البيضاء الطويلة التي لامست أعلى ركبتيها.

«هذه الأزهار من فصيلة بيليس الخالدة»، وحملت بيدها بعض البتلات التي تشبه بتلات الأقحوان، ودستها في فمها: «الأزهار دائماً تنحدر من عائلة ما من النباتات».

دفنت وجهها بين الأزهار التي كانت تحملها، وقالت له اسمها باللاتينية، انبهر من رقتها في إمساك النباتات بين أصابعها وحديثها عنها بحنان كبير، وكأنها عائلة تعاني العديد من المشكلات والصفات الغريبة، وأخبرته بأن حلم حياتها هو زيارة حقول أزهار الخشخاش في باكستان، ثم أفصحت له بشيء من التوتر: «في الواقع لقد كتبت شعراً عن ذلك الحلم».

توقف جو عن المشي حين عرف سبب وجودها هنا.

الكثير من الشابات يلاحقنه لكي يقرأ أشعارهن، وقد تيقنَ الآن أنها واحدة منهن، جميعهن يبدأن بإخباره بأنهن كتبن قصيدة ما عن شيء رائع.

مشى الاثنان جنباً إلى جنب وخطواتهما تسحق الأعشاب الطويلة من تحتهما، وتمهد لهما الطريق. انتظرها لتتكلم أو تصارحه بطلبها، أو تخبره بمدى تأثرها بكتبه، أو لتفسر له كيف تمكنت من اقتفاء أثره وتعقّبه إلى هنا، بعد ذلك توقع أنها ستسأله إن كان يمانع في قراءة قصيدتها المتواضعة التي استلهمتها منه، أو إن كان لديه الوقت لذلك، أو ترجوه وتتوسل إليه بأن يفعل.

ردّ عليها بحدّة: «إذن.. قرأتِ جميع كتبي، والآن تلحقين بي إلى فرنسا».

عصفت بوجنتيها وعنقها الطويل موجةُ تورّدٍ خجلاً مما قال: «نعـم، صاحبة الفيلا ريتا دوايتر هـي إحدى صديقات والدتي، وأخبرتني بأنك استأجرتها طوال الصيف. هي تسمح لي بالإقامة في الفيلا مجاناً بعد مواسـم السياحة، لم أتمكن من البقاء فيها الآن لأنك - هههههه - استوليت عليها».

«لكن موسـم السياحة لم ينته بعد يا كيتي، فشهر يوليو يعتبر ذروة الموسم السياحي، أليس كذلك؟».

كانت تتحدث بلهجة سـكان شـمال لندن، وأسنانها الأمامية معوجّـة، وعندما لا تتلعثم في حديثهـا ولا تحمرّ وجنتاها تبدو وكأنها منحوتة من الشمع في أحد مشاغل فينيسيا المظلمة، وإذا كانت بالفعل عالمة نباتات فمن الواضح أنها لم تمضِ وقتاً طويلاً فـي الخارج، إن من صنع ذلك التمثـال كان ماهراً، فهي يمكنها أن تسـبح وتبكي وتحمرّ وجنتاها، وتقول أشياء مثل: «استوليت عليه».

«لنجلس في الظل»، أشـار إلى شجرة كبيرة محاطة بصخور صغيرة، كانت حمامة بنية بدينة تتكئ بشكل مضحك على غصن ضعيف بدا وكأنه سينكسر بسبب ثقلها.

«حسناً.. على فكرة تلك شجرة بند.. بند.. بندق».

سـبقها نحو الشجرة قبل أن تنهي جملتها، ثم جلس وأسند ظهـره إلى جذع الشـجرة، وعندما تـرددت في الجلوس معه تحت الشجرة ربَّتَ على المكان بجانبه، وأزاح الأغصان والأوراق إلى أن جلسـت بجانبه، وغطّت ركبتيها بثوبها القطني الأزرق الباهت. كاد يسـمع صوت خفقان قلبها من قوتها تحت ثوبها الخفيف.

«عندمـــا أكتب قصائدي فإنني دائماً أعتقد أنه بإمكان الناس سماعها».

تناهى إلى مسامعهما صوت جرس يدق من بعيد، بدا الصوت وكأنــه صوت نعجة ترعى بمكان ما في البســتان، وتتحرك بين العشب الطويل.

«لمـــاذا ترتعدين؟»، كانـــا قريبين من بعضهما إلـــى درجة أنه استطاع أن يشم رائحة الكلور في شعرها.

«نعم أنا أرتعد، توقفتُ عـــن أخذ أدويتي، لذا يداي ترتجفان قليلاً».

اقتريـــت كيتي منه أكثر، لم يعرف الســبب وراء اقترابها إلى أن رأى أنها فعلت ذلك لتتحاشـــى طابوراً من النمل الأحمر كان يزحف بالقرب من ساقيها.

«لماذا تتناولين الأدوية؟».

«حاليـــاً قررتُ ألا أتعاطاها لبعض الوقت، أتعلم شـــيئاً؟ إنني أشـــعر بالراحة لإحساســـي باليأس مجدداً، فأنا لا أحس بشيء عندما أتناولها».

صفعت كيتي النمل الذي بدأ يزحف على كاحليها.

«لقد كتبت عن ذلك أيضاً.. اسم القصيدة (قطف الزهور مع الـ سيروكسات)».

بحـــث جو في جيبه عن منديـــل حريري أخضر لينظف أنفه، وسأل: «ما الـ سيروكسات؟».

«أنت تعرف ما هو».

كان أنفه مدفوناً في المنديل الحريري.

«قولي لي على أية حال».

«الـ سيروكسـات هو عقار قوي جـداً لمحاربة الاكتئاب، إنني أتناوله منذ سنوات».

حدقت كيتـي بالأفق الذي كادت تغطيه الجبـال، ومد جو يده بحركة لا شـعورية ليمسـك بيدها الباردة المرتعشة ويضمها بقوة إلى حضنه، كان معها الحق في أن تبدي امتعاضها من سـؤاله. إن إمساك يدها هي طريقته الصامتة ليريها أنه يعلم أنها قرأت أعماله، لأنه أخبر قارئيه في السـابق عن تعاطيه الأدويـة أثناء مراهقته، فعندما كان في الخامسة عشرة أصيب رسغه الأيسر بجرح صغير باسـتخدام الموسى، ولم يكن ذلك شـيئاً خطيراً، فقد كانت مجرد تجربة، كانت الموسـى باردة وحادة، وكان رسـغه دافئاً وناعماً، ولم يكن من المفترض أن يلتقي الاثنان، لكنها كانت فورة غضب في سن المراهقة، ولم يوافق الطبيب، وهو عجوز هنغاري ينمو الشـعر في أذنيه، على أن التقاء الاثنين كان مجرد خطأ عرضي يحدث بشكل يومي، وأخذ يطرح الأسئلة، فقد كان يريد أن يعرف تفاصيل حياته.

الأسـماء والأماكن والتواريخ.. اسـم والدتـه ووالده وأخته واللغات التي يتحدثونهـا وعمره عندما رآهم آخر مرة.. كان رد جـو جاكوبس على تلك الأسـئلة أن يصـاب بالإغماء في غرفة الاستشـارة، لذلك السـبب أحاطت غمامة من الأدوية بسنوات مراهقته، أو يمكن وصف وضعه حينها كما ذكر في إحدى أشهر قصائده، التي تمت ترجمتها إلى ثلاث وعشـرين لغة، حين قال إن الوضع كان وكأن جنّية شريرة قد أبرمت صفقة معي «أعطني تاريخك وسأعطيك شيئاً يمحوه».

عندما اسـتدار لينظر إلى وجهها الـذي زالت حمرته كانت وجنتاها مبتلتين.

«لماذا تبكين؟».

ردّت بصوت عادي: «أنا بخير».

ثم أضافت: «أنا مســـرورة لتوفيري المال وعـــدم إنفاقه على استئجار غرفة في فندق، لكنني لم أتوقع أن تعرض عليّ زوجتك الإقامة في الغرفة الإضافية».

اســـتقرّت ثلاث ذبابات سوداء على جبهتها، لكنه لم يترك يد الفتـــاة لتنفضهنّ، بل أعطاها الخرقة الحريرية التي يحتفظ بها ويستخدمها كمنديل.

«نظفي نفسك».

«لا أريد منديلك»، ألقت بالخرقة الحريرية في حضنه: «وأكره كيف يقول الناس نظفي نفسك، وكأنني قذرة».

لـــم يكن متأكداً من ظنه بأنّ ما قالتـــه له كان بيتاً من إحدى قصائـــده أيضاً، لم يكـــن نفس الكلام الذي كتبـــه، ولكنه قريب جداً منه، لاحظ وجـــود خدش على كاحلها، فقالت له إن زوجته خدشتها عندما سحبت قدمها من المسبح.

كانـــت النعجة تقترب، كلما تحركت دقّ الجرس، وكلما توقفت صمت، انزعج من ذلك، التقط صرصور ليل صغيراً أخضر اللون من فوق كتفه، ووضعه في كفها المفتوح.

«أعتقد أنكِ كتبتِ شيئاً وتريدينني أن أقرأه، أليس كذلك؟».

«بلى، إنها مجرد قصيدة واحدة»، عاد صوتها ليصبح عادياً مرة أخرى، أطلقت ســـراح الصرصور، وراقبته وهو يقفز إلى العشب ويختفي فيه: «في الواقع إن القصيدة عبارة عن حوار معك».

التقط جو غصناً صغيراً ســـقط من الشجرة، كانت الحمامة البنّية الرابضة على الغصن فوق رأســـه تريد أن تجازف بنفسها،

فهناك أغصان أقوى في الشــجرة ويمكنها الانتقال إليها، ولكنها لم تتحرك، أخبرها جو بأنه سيقرأ قصيدتها في المساء، وانتظر منها أن تشكره.

انتظر منها أن تشكره على الوقت الذي منحها إياه، أن تشكره على إصغائه لها واهتمامه بها، أن تشــكره على كرمه، أن تشكره على دفاعه عنها ضد ميتشــيل، أن تشكره على صحبته وكلماته والشــعر الذي جعلهــا تتعقبه وهو في إجــازة عائلية.. لكنها لم تفعل.

«علــى فكرة»، قالها وهو يحدق بســاقيها الشــاحبتين، وقد غطاهمــا النمل الميت الذي تم ســحقه: «ســأُبقي أمر تعاطيك الأدوية سراً».

هــزّت كتفيها، وقالــت: «في الواقــع.. جورغــين والدكتورة شــيريدان وجميع من في القرية يعلمون بذلك، كما أنني توقفت عن أخذها على أية حال».

«هل ماديلين شيريدان دكتورة؟».

أجابــت: «نعم»، ثم شــدّت أصابع قدميهــا: «لديها أصدقاء بالمستشفى في جراس، لذا عليك أن تتظاهر بأنك سعيد وبأنك تتمالك نفسك».

ضحك، ولتجعله يضحك أكثر فيبدو ســعيداً ومتمالكاً نفسه، قالت إنه لا شــيء، لا شيء على الإطلاق يبقى سراً عندما يقال لجورغين: «شــأنه شأن جميع الناس الذين لا يحفظون الأسرار، هو يضع يده على قلبه، ويؤكد لمن يأتمنه على ســره أنه لن ينبس ببنت شفة، لكن جورغين لا يغلق فمه أبداً لأن سيجارة الحشيش لا تفارق شفتيه».

يعلم جو جاكوبس أن عليه أن يسـألها المزيد من الأسئلة كما تفعل زوجته الصحافية، فيجب أن يسـأل لماذا وكيف ومتى ومن، وأن يسـتخدم جميع أدوات الاسـتفهام الأخـرى التي يجب أن يسـتخدمها لكي يفهم الحياة أكثر، لكنها سـبق أن أعطته بعض المعلومات، وفي طريقهما إلى البسـتان قالت له إنها تركت العمل في فيكتوريا بارك في «هاكني»، حيث كانت تكنس أوراق الشجر المتساقطة وتجز العشـب، وروت له كيف أن عصابة من الأولاد أشهروا سكيناً في وجهها لأن الأدوية التي تتعاطاها كانت تسبب الرعشة لساقيها، مما كان يجعلها فريسة سهلة.

سمعا رنين الجرس مرة أخرى.

«مـا هذا الصـوت؟»، وقفـت كيتي وحدّقت باتجاه العشـب الطويل.

اسـتطاع جو أن يرى فقرات هيكلها العظمي من تحت ثوبها، وعندمـا انزلقت قبعته مرة أخرى، انحنـت والتقطتها، ونفضت عنها الغبار بأطراف أظافرها الخضراء، وأعطته إياها.

فـي تلك اللحظة شـهقت كيتي لأن العشـب الطويل تحرك، ورأى الاثنـان ومضـات وردية وفضية تتلألأ من بين الأعشـاب الطويلة، كان شيئاً ما يشق طريقه نحوهما؛ انشق بحر الأعشاب أمامهمـا لتخرج منه نينا وتقف أمامهمـا، كانت حافية ولا تزال ترتدي ثوب السـباحة برسمات الكرز، وتضع في أصابع قدميها هدية جورغين المكوّنة من خمسـة خـواتم فضية من الهند عُلِّق بكل واحد منها أجراس صغيرة.

«جئت أبحث عنكما»، حدقت نينا بوالدها الذي كان يمسـك بيد كيتي فينش: «ذهبت أمي إلى نيس، قالت إنها يجب أن تأخذ

حذاءها للتصليح».

نظرت كيتي إلى الساعة التي تحيط بمعصمها النحيف.

«لكن محلات الإسكافيين مغلقة الآن في نيس».

فجأة ظهر من بين الأعشاب ثلاثة كلاب مكشرة عن أنيابها، وسرعان ما أحاطت بهم، وعندها وصل المزارع، وقال للشاعر الإنجليزي المتعرق إنه يتعدى على أرضه الخاصة. نزعت الفتاة الإنجليزية الجميلة الوشاح من فوق القبعة التي كانت ترتديها، وأعطتها للشاعر الإنجليزي العابس.

قالت له: «نظف نفسك»، وطلبت من المزارع بالفرنسية أن يأمر الكلاب بالتراجع.

عندما رجعوا إلى الفيلا مشى جو بين أشجار السرو في الحديقة، حيث وضع لنفسه طاولة وكرسياً ليكتب تحت ظلالها، وطوال الأسبوعين الماضيين كان يسمي ذلك المكان مكتبه، وأفهم الجميع أن عليهم ألا يزعجوه عندما يكون هناك، حتى ولو وجدوه نائماً على الكرسي، ومن خلال المساحات الخالية بين أغصان أشجار السرو رأى لورا تجلس على كرسي الخيزران القديم بجانب المسبح، وكان ميتشيل يتجه نحوها حاملاً إناء مليئاً بالفراولة.

راقب لورا وميتشيل وهما يأكلان الفراولة في الطقس المشمس، وأحس بالنعاس يغلبه، إنه إحساس غريب؛ أن «يحس» بنفسه وقد بدأ يغلبه النعاس، وكأنه قادر على أن يحس بنفسه في أي مكان أو زمان، من الأفضل جعل أي مكان يجلس فيه مكاناً جيداً، يجب أن يكون ذلك المكان بلا معاناة وبلا إحساس دائم بالخطر المحدق، كأن يكون جالساً إلى طاولة تحت ظل

شـــجرة ســـرو مع عائلته، أو أن يكون على متن زورق يبحر عبر قنوات فينيســـيا وهو يلتقط الصور، أو أن يكون في دار ســـينما خالية يشـــاهد فيلماً ما وقد وضع علبة الجعة بين ركبتيه، أو أن يكون في سيارة على طريق جبلي في منتصف الليل بعد أن قضى وقتاً حميماً مع كيتي فينش.

طريق جبلي
منتصف الليل

بدأ الليل يسدل أستاره، قالت له إن مكابح السيارة المستأجرة كانت معطوبة، ولم تستطع رؤية أي شيء ولا حتى يديها.

كان رداؤها الحريري ينزلق من فوق كتفيها، وهي تنحني بجسدها على المقود. عبر أحد الأرانب الشارع وانحرفت السيارة، وطلب منها أن تركز عينيها على الشارع، وألا تفعل شيئاً سوى ذلك، وبينما هو يتحدث كانت تقبّله وهي تقود السيارة في الوقت ذاته، ثم طلبت منه أن يفتح نافذته لكي تسمع أصوات الحشرات وهي تنادي بعضها في الغابة، أنزل زجاج النافذة، وطلب منها مرة أخرى أن تركز عينيها على الطريق، أخرج رأسه من النافذة، وأحس بنسيم الجبل البارد يلسع شفتيه، لقد عاش الناس قديماً في هذه الغابة التي تحولت الآن إلى شارع، وعرفوا أن الماضي يعيش بين الصخور وفي الأشجار، وأن الرغبة جعلتهم يتصرفون بشكل غريب وبغضب وبغموض وبفوضوية.

قالت كيتي فينش: «نعم»، وعادت عيناها للتركيز على الطريق: «أعلم بماذا تفكر، الحياة لا تستحق العيش إلا لأننا نأمل أن أمورنا ستتحسن وأننا جميعاً سنصل إلى منازلنا سالمين، لكنك حاولت ولم تصل إلى المنزل بسلام، بل لم تصل إلى المنزل على الإطلاق، لهذا السبب أنا هنا يا جوزيف، لقد أتيت إلى فرنسا لكي أنقذك من أفكارك».

محاكاة الحياة

لم تكن إيزابيل جاكوبس واثقة من السبب الذي دفعها للكذب حول أخذ حذائها لإصلاحه، إن السبب وراء كذبها كان شيئاً آخر من بين أشياء لم تكن متأكدة منها، فبعد وصول كيتي فينش إلى ذلك المكان كان السبيل الوحيد لتتمكن من متابعة يومها هو أن تقلد إنسانة سكنت جسدها فيما مضى، لكن تلك الإنسانة لم تعد تستحق التقليد.

يستمر الغموض باجتياح العالم، ويستمر باجتياحها هي أيضاً، فلم تعد متأكدة من مشاعرها تجاه أي شيء، ولم تعد متأكدة كيف تحس بشيء أصلاً أو لماذا عرضت على شخص غريب البقاء في الغرفة الإضافية في الفيلا، وطوال الوقت الذي استغرقته للقيادة إلى أسفل الجبال، والبحث عن قطع النقد الصغيرة لتدفع رسوم المرور، والتوهان في الطريق إلى نيس، ومحاولتها العودة في الازدحام الخانق على الشريط الساحلي المؤدي إلى نيس.. كان قائدو السيارات الأخرى يشيرون إليها بأيديهم، ويطلقون أبواق سياراتهم، ويُنزلون زجاج نوافذهم ليصرخوا بوجهها، وفي المقاعد الخلفية لتلك السيارات كانت الكلاب ذات الفراء المشذب بعناية تحدق فيها بسخرية، وكأنهن هن أيضاً يمتعضن من الذين لا يعرفون أين يتجهون في الطرق ذات الاتجاه الواحد.

أوقفت السيارة مقابل الشاطئ الذي يسمى أوبيرا بلاج، ومشت نحو القبة الوردية لفندق نيجريسكو الذي تعرفت عليه من الخريطة المرفقة بكتيب المعلومات الموجود في الفيلا. كان هناك الكثير من المعلومات عن فندق نيجريسكو في كتاب المعلومات، فهو أقدم وأفخم الفنادق المطلة على منطقة بروميناد ديز آنجلي التي تنتمي إلى حقبة بيل إيبوك الجميلة، فعلى ما يبدو، بنى المهاجر الهنغاري هنري نيجريسكو ذلك الفندق، وصممه عام 1912 ليجذب «نخبة الطبقة الراقية» إلى نيس.

مر نسيم عبر الشارعين المزدحمين اللذين يفصلان إيزابيل عن الشواطئ المزدحمة الأخرى، ذلك النسيم المحمَّل بقذارة الحياة في المدينة كان أفضل بكثير من نسيم الجبال فائق النظافة الذي يجعل الألم يفوق الاحتمال أيضاً. هنا في نيس، خامس أكبر المدن الفرنسية، تستطيع هي أن تختفي بين حشود السياح، وكأن بالها لا يشغله شيء عدا التذمر من تكاليف استئجار كراسي الشواطئ على الريفيرا.

أوقفتها امرأة بشعر قصير مخضب بالحناء لتسألها إن كانت تعرف الطريق إلى شارع فرانسوا أون، كانت عدسات نظارتها الكبيرة ملطخة بما بدا وكأنه حليب مجفف، تكلمت الإنجليزية بلهجة رجحت إيزابيل أنها روسية، أشارت المرأة بإصبع مثقل بالخواتم إلى ميكانيكي يلبس ثياب عمل زرقاء ملطخة بالزيت مستلقٍ تحت دراجة نارية، وكأنها تلمح لإيزابيل بأن تسأله عن العنوان نيابةً عنها، لوهلة لم تعرف إيزابيل لم طلبت منها المرأة ذلك، ثم أدركت أن المرأة عمياء، وأنها استطاعت أن تسمع صوت الميكانيكي يدير محرك دراجته بالقرب منهما.

عندما جثت إيزابيل على الرصيف وأرته قصاصة الورق التي دستها المرأة في يدها أشار بإبهامه إلى المبنى السكني في الشارع المقابل. كانت المرأة العمياء تقف في الشارع الذي تبحث عنه، قالت لها إيزابيل: «لقد وصلت»، ثم أمسكت بذراعها، وقادتها عبر البوابة باتجاه المبنى الفخم الكبير، كانت كل نافذة محاطة بمصراعين مصبوغين حديثاً باللون الأخضر، وهناك ثلاثة مرشات مياه تسقي أشجار النخل المزروعة بصفوف مستقيمة في الحديقة المشتركة.

«لكنني أرغب بالذهاب إلى المرفأ يا سيدتي، إنني أبحث عن الدكتور أورتيغا».

كانت المرأة الروسية تتحدث بنبرة بدت ساخطة، وكأنه تم جرها غصباً عنها إلى المكان الخطأ. حدّقت إيزابيل بأسماء السكان المحفورة على اللوحة النحاسية المعلقة بجانب الباب، وقرأتها بصوتٍ عالٍ: «بيريز، أورسي، بيرغيل، دكتور أورتيغا»، هذا هو اسمه، إذنً هو يعيش هنا، رغم أن المرأة اعترضت على ذلك.

رنّت الجرس المقابل لاسم الدكتور أورتيغا، وهي تتجاهل المرأة الروسية التي كانت تبحث عن شيء ما داخل حقيبتها المصنوعة من جلد التمساح، ثم أخرجت معجماً صغيراً مهترئاً.

خرج من بوق الصوت النحاسي اللامع التابع لنظام دخول البوابة صوتٌ إسبانيٌّ ناعمٌ يطلب منها بالفرنسية أن تعرب عن اسمها.

«اسمي إيزابيل، زائرتك تنتظرك في الأسفل».

غطّى صوت صافرة الشرطة على صوتها، واضطرت لأن تعيد كلامها.

«هل قلت إن اسـمك إيزابيل؟»، كان سؤالاً عادياً لكنه جعلها تقلق، وجعلها تحس بأنها بالفعل تنتحل شخصية أخرى.

أصدر بـوق الدخول أزيزاً، ودفعت إيزابيـل الباب الزجاجي المحاط بالخشب الثقيل الأسود، والذي يؤدي إلى بهو رخامي، لم تشأ المرأة الروسية بنظارتها السوداء الملطخة أن تتحرك، وعوضاً عن ذلك ظلت تكرر طلبها بأن تأخذها إيزابيل إلى المرفأ.

«هل ما زلت هنا إيزابيل؟».

لماذا لم ينزل الدكتور ويرافق المرأة العمياء بنفسه؟

«هل يمكنك أن تنزل لتأخذ مريضتك؟».

سمعَتْه يضحك.

«سـيدتي أنـا دكتور في مادة الفلسـفة، وتلك المرأة ليسـت مريضتي بل هي طالبتي».

ضحك مرة أخرى، وكانت ضحكته مكتومة ومتقطعة كضحكات المدخنين، سمعت صوته من خلال فتحات بوق الصوت، فاقتربت منه مرة أخرى.

«تريد طالبتي الذهاب للمرفأ لأنها ترغب بالعودة إلى سانت بطرسـبرغ، هي لا تريـد أن تبقى هنـا لتلقّي دروسـها باللغة الإسبانية، لذا هي لا تؤمن بأنها هنا، قالت إنها لا تريد أن تكون هنا».

كان يداعبها ويغازلها، من الواضح أن الرجل لديه ما يكفي من الوقت ليلاعبها بالأحجيات لشعوره بالأمان تجاه مدخل البوابة، بينمـا يقبع هو بأمان داخل شـقته. تمنـت أن تصبح مثله، وأن تتصـرف بحماقة غير عابئة بأحداثهـا اليومية. ما الذي حدث لتصبح علـى ما هي عليه الآن؟ أين هـي الآن؟ كانت تهرب من

جوزيف كالعــادة. تلك الفكرة جعلت الدموع الحارة التي تكرهها تحرق عينيها. لا، لا تريد ذلك مرة أخرى، لا لجوزيف، ليس مرة أخرى. اســتدارت وتركت المرأة الروســية تتلمس حواجز السلم الرخامــي وهي ما زالت تصر على أنها فــي المكان الخطأ، وأن وجهتها هي المرفأ.

لقد أظلمت السماء، واستطاعت إيزابيل أن تشم رائحة البحر القريــب منها. كانت طيــور النورس تزعق فوق رأســها، عبرت رائحــة الخميرة الحلــوة القادمة من المخبز في الشــارع المقابل السيارات الواقفة لتصل إليها، كانت العائلات عائدة من الشاطئ حاملة كرات بلاستيكية وكراســي ومناشف ملونة، وفجأة امتلأ المخبز بفتيان مراهقين يشترون شرائح البيتزا، وعبر الشارع كان الميكانيكي يدير محــرك دراجته، وقد بدت على محياه علامات الانتصار، لم تكن مســتعدة للعودة إلى المنــزل والبدء في تقليد شــخصيتها القادمة، عوضاً عن ذلك مشــت لما يقارب الساعة على طول البروميناد ديز آنجلي، وتوقفت في أحد المطاعم بقرب الشاطئ المجاور للمطار.

كانــت الطائرات المقلعة تحلّق بمســتوى منخفض فوق البحر الأســود، وعلى المنحدرات المكونة من الحصى كان مجموعة من الطلبة يتناولون الجعة، يتبادلون الآراء، ويداعب بعضهم البعض تارة، ويصرخون في بعضهم تارة أخرى، ويستمتعون بليلة صيفية على شــاطئ المدينة، هم في مقتبل حياتهــم، تنتظرهم وظائف جديدة وأفــكار جديدة وأصدقاء جدد وعلاقــات حب جديدة، أما هي فكانت في خريف عمرها، تقارب الخمســين عاماً، وقد شــهدت مجازر وصراعــات لا تحصى في عملهــا الذي جعلها

تشـــارك الناس حول العالــم معاناتهم. لم يتــم تكليفها بتغطية الإبادة الجماعية التي حدثــت في رواندا، بينما تم تكليف اثنين من زملائها المحطمين نفســياً، قالا لها إنه من المستحيل تصديق درجة الدمار الإنساني الذي وقع هناك، لقد ذُهلا وهما ينظران في أعين الأيتـــام المذهولين أيضاً، هناك اعتــادت الكلاب التي تتضور جوعـــاً على أكل اللحم البشـــري، شـــاهدا كلاباً تجوب الحقول وبعض الأعضاء البشـــرية تتدلى من بين أسنانها، لكنها وحتى لو لم تشـــهد فظائع رواندا بأم عينيها لكنها تغلغلت عميقاً في تعاســـة العالم، ولم يعد بإمكانهـــا أن تفتح صفحات جديدة في حياتها مرة أخرى، ولو أنها اختارت أن تنسى جميع الدروس التـــي تلقتها، والتي جعلتها أكثر حكمة، فإنها لن تتردد في ذلك؛ أن تكون جاهلة وحالمة، وتتـــزوج مرة أخرى، وتنجب مرة أخرى، وتشرب الجعة مع زوجها الشاب الوسيم على شاطئ هذه المدينة في الليل، سيكونان مبتدئين مفتونين مرة أخرى، ويقبّل بعضهما بعضاً في ضوء النجوم، ذلك أفضل مصير للإنسان في حياته.

جلســـت عائلة كبيرة من النساء والأطفال على ثلاث طاولات متلاصقة، جميعهم كان لديهم ذات الشعر البنّي المموّج والوجنات البارزة، وكانوا يأكلون طبقات من البوظة مزينة بدقة وموضوعة في كؤوس متناهية الصغر. أشـــعل النادل أعواد المفرقعات التي وضعها على طبقة الكريمة فوق البوظة، وصاحت العائلة متعجبة ومســـتمتعة، وصفقوا للعرض، شـــعرتْ بالبرد فـــي ثوبها عاري الأكتاف، عارٍ جداً بالنســـبة لهذا الوقت من الليل. بدأت النساء بإطعـــام أطفالهن بالملاعق الفضية الطويلة وهن يحدقن بفضول إلى المرأة ذات الكتفين العاريتين التي تفكر بصمت وهي مكتئبة،

وكأن وحدتها ضايقتهن، اضطرت لأن تخبر النادل مرتين بأنها لا تتوقع أن ينضم إليها أحد، وعندما وضع قهوة الإسبريسو بقوة أمامها على الطاولة المعدة لشخصين انسكب أغلبها على صحن الفنجان.

راقبت الأمواج وهي ترتطم بالحصى، وراقبت المحيط وهو يبتلع الأكياس البلاستيكية التي تركت على الشاطئ نهار ذلك اليوم، وبينما ارتشفت ما تبقى من قهوتها ببطء لكي تطيل الجلوس على الطاولة المخصصة لشخصين، كانت الأفكار التي حاولت أن تبعدها عن ذهنها تعود بقوة كالأمواج التي ترتطم بالصخور.

كانت كالشبح بمنزلها في لندن، فعندما تعود إليه من مناطق الحروب العديدة كانت تجد أن مادة صقل الأحذية أو المصابيح قد وضعت في مكان آخر، مكان مشابه، ولكن ليس ذات المكان الذي توضع فيه سابقاً، لذلك السبب أدركت أن وجودها هي أيضاً في منزل العائلة كان عابراً، وأنها إذا تمسكت بممارسة الأعمال التي تحبها في الحياة فإنها تخاطر بخسارة مكانتها كزوجة وأم، وهي مكانة محيرة مسكونة بجميع الأفكار التي صُورت لها لو أنها اختارت أن تحتل تلك المكانة. لقد حاولت أن تصبح شخصية لا تفهمها، حاولت أن تكون شخصية أنثوية قوية، ولكنْ هشّة في الوقت ذاته، لو علمت فقط أن الحزم ليس كالقوة، وأن الرقة ليست كالهشاشة، لكنها لم تعلم كيف تستخدم تلك المعرفة في حياتها أو ماذا تعني تلك المعرفة أو كيف أن تلك المعرفة قد جعلت شعورها يتحسن لجلوسها وحيدة ليلة السبت على طاولة أعدت لشْخصين.

عندمـــا كانت تعود إلى لندن من أفريقيا أو إيرلندا أو الكويت كانـــت لورا تعرض عليهـــا أحياناً الإقامة فـــي المخزن الذي يقع فوق متجرهم في إيوســـتون بعد أن تجهز لها ســـريراً فيه. كانت إقامتهـــا هناك نوعاً من النقاهة؛ تســـتلقي على الســـرير خلال النهـــار، وتحضر لها لورا أكواب الشـــاي عندمـــا يعم الهدوء في المتجر. لم يكن هناك شـــيء مشـــترك بينهما سوى أنهما تعرفان بعضهما منذ مدة طويلة، تلك الســـنوات كانت تعني شـــيئاً لهما، فلم يتعين عليهما تقديم المبررات لبعضهما، ولا أن تكونا مهذبتين مع بعضهما، ولم تحتاجا إلى ملء الثغرات في أحاديثهما.

دعت لورا لمشـــاركتهم الســـكن في الفيلا أثنـــاء الصيف، ثم فوجئت بسرعة قبول صديقتها الدعوة، فعادة ما يحتاج ميتشيل ولورا إلـــى وقت أكثر لكي يتســـنى لهما إغـــلاق المتجر وترتيب أمورهما.

كانـــت أعواد المفرقعـــات فوق البوظة تنطفـــئ ببطء، وفجأة صرخـــت إحدى الأمهات بابنها ذي الأعوام الخمســـة حين أوقع كأســـه علـــى الأرض. حملت الصرخـــة غضباً عارمـــاً، وأدركت إيزابيـــل أن الأم كانت مرهقة، ومن ثـــم أصبحت عنيفة، لم تكن تعيســـة ولا ســـعيدة، جثت على ركبتيها لتنظف البوظة المسكوبة علـــى الأرض بالمناديـــل التي تناولها إياها بقية العائلة. أحســـت إيزابيل باســـتنكار النساء اللاتي يحدقن بها لجلوسها بمفردها، لكنها كانت ممتنة لهن. ســـتُحضِر نينا إلى هذا المطعم وتشتري لها بوظة مثبَّتاً بها عود للمفرقعات، لقد خططت النســـاء شـــيئاً جميلاً لأطفالهن وهي ستقلدهن.

جدران تنفتح وتنغلق

كانت نينا تراقب كيتي فينش وهي تبسـط راحتي كفّيها على جـدران الغرفة الإضافية وكأنها تختبـر صلابتها، كانت الغرفة الصغيـرة تطـل على الجانب الخلفـي للفيلا، وكانت الستائر الصفراء مسـدلة بإحكام على النافذة الوحيدة فيها، جعل ذلك الغرفـة تصبح حارّة ومظلمة، لكن كيتي قالت إن ذلك يناسـبها، كان بإمكانهم سماع صوت ميتشيل وهو في مطبخ الطابق العلوي يغني أغنية لفرقة «آبا» بنشـاز، قالت كيتي لنينا إنها كانت تتأكد من الجدران لأن أساسـات الفيلا ضعيفة، فمنذ ثلاثة أعوام تم تكليف مجموعة من البنائين المخادعين من مدينة مينتون بتصليح المنزل بعد أن ظهرت تشـققات فـي أرجائه، ولكن تمت تغطيتها بعجالة بجص غير مناسب.

لم تفهم نينا كيف تسـنّى لكيتي أن تعرف الكثير عن كل تلك الأشـياء بخصوص نوع الجص المناسـب، إذن هـل تعمل كيتي فينش في مجال البناء؟ إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكنها إدخال شعرها كله تحت خوذة الحماية الصلبة؟

وكأن كيتي قرأت أفكارها لأنها قالت: «حسـناً، إن نوع الجص المناسـب يجب أن يحتوي على حجر الكلس»، ثم جثت على الأرض وتفحصت النباتات التي جمعتها من فناء الكنيسة صباح ذلك اليوم.

داعبت أظافرها الخضـــراء الأوراق المثلثة ومجموعة الأزهار البيضـــاء، وجعّـــدت أنفها، وقالـــت إنها تعبق برائحـــة الفئران، وأخبرتها بأنها كانت تجمع البذور من النباتات لأنها كانت ترغب بدراستها، وبإمكان نينا مساعدتها إن أرادت.

«أي نوع من النباتات تلك؟».

«إنها تدعـــى الشـــوكران الأبقع، وهي تنتمـــي لنفس فصيلة الشمر والجزر الأبيض والجزر العادي، لقد فوجئتُ جداً عندما رأيتها تنمو بجانب الكنيســـة، إن أوراقها تشبه أوراق البقدونس، أليس كذلك؟».

لم تعرف نينا كيف تجيبها.

«وهذا هو شراب الشوكران، من المؤكد أن والدك يعرفه، ففي الماضي كان الأطفال يســـتخدمون الســـيقان لصنع الصافرات، وكانوا يتسممون من ذلك أحياناً، لكن الإغريق اعتقدوا أنه يشفي الأورام».

بدا وكأن لدى كيتـــي الكثير لتفعله، فبعد أن علقت ثيابها الصيفيـــة في الخزانة، ووضعت على الرف بعض الكتب التي اهتـــرأت من كثرة الاســـتخدام، ركضت إلـــى الطابق العلوي لتنظر إلى المســـبح مرة أخرى على الرغم من أن الظلام كان قد حل.

وعندمـــا عادت قالت إنه قد تم مؤخراً إضافة إضاءة في قاع المسبح «لم تكن موجودة العام الماضي».

أخرجت كيتي مغلفاً بني اللون متوســـط الحجم من حقيبتها القطنيـــة الزرقـــاء، وتفحصته، ثـــم قالت وهي تلـــوح به باتجاه نينـــا: «هذه هي القصيدة التي وعدني والـــدك بقراءتها الليلة»،

ثم عضت شـفتها العلويـة وقالت: «طلب منـي أن أضعها على الطاولة خارج غرفة نومه، هل تأتين معي؟».

رافقتها نينا إلى الغرفـة التي ينام فيها والداها، كانت غرفة نومهما هي الكبرى في الفيلا، كما أنها تضم حماماً أكبر منها في الداخل، كانت صنابير المياه ذهبية، وكان «الدش» مزوداً بوسائل للتحكم بقوة ضغط الماء، ويوجد زر يحول حوض الاستحمام إلى «جاكوزي» بلمسة واحدة.

أشـارت إلى طاولة صغيرة موضوعـة بجانب الحائط خارج غرفـة النوم، كان يوجد في وسـطها إناء وُضعـت فيه نظارات سباحة واقية وأزهار مجففة وأقلام وبطاقات بريدية ومفاتيح.

قالت كيتي بحمـاس: «تلك مفاتيح غرفـة المضخات، يوجد في تلك الغرفة جميع الآليات التي تجعل المسـبح يعمل، سأضع المغلف تحت الإناء».

قطّبـت حاجبيها وهي تحـدق بالمغلف البنـي، وبدأت تأخذ أنفاساً عميقة، وتهز رأسها وكأن هناك شيئاً عالقاً بشعرها.

«في الواقع أظن أنني سـأمرره إلى داخـل الغرفة من تحت الباب، بهذه الطريقة سيتعثر به، وسيضطر لقراءته على الفور».

كانت نينا على وشـك أن تخبرها بأن تلك ليست غرفة نومه وحده، فوالدتهـا كانت تنام هناك أيضاً، لكنها لم تفعل ذلك لأن كيتي فينش كانت تتفوه بألفاظ غريبة.

«عليك أن تجازفي، أليس كذلك؟ إن الأمر يشبه عبور الشارع بعينين مغمضتين، لا تعرفين ما الذي يمكن أن يحدث بعد ذلك»، ثم أرخت رأسها إلى الخلف، وضحكت: «ذكريني بأن آخذك إلى نيس غداً لتتذوقي ألذ بوظة قد تأكلينها في حياتك».

إن الوقوف بجانب كيتي فينش كان مثل الوقوف بجانب سدادة طارت للتـو من فتحة زجاجة، في البدء تتزحـزح قليلاً لتنطلق الغازات ثم يكتسي كل شيء لثانية من الزمن بمشروب مسكر.

كان ميتشيل يناديهم لتناول العشاء.

آداب السلوك

أعلن جو جاكوبس بطريقة مســرحية لجميع الجالسين على الطاولة: «ذهبت زوجتي لتصلح حذاءها في نيس».

فهموا من نبرته أنه كان يزودهم بالمعلومات فقط، ولم يرغب بأي رد فعل من الجمهور المجتمع على طاولة العشاء، وافقوه، ولم يذكروا الموضوع بعد ذلك.

أما ميتشــيل، الذي نصّب نفســه طباخاً للفيلا، فقد أمضى طوال فترة ما بعد الظهيرة وهو يشوي قطعة اللحم الكبيرة التي أصــر جو أن يدفــع ثمنها صباح ذلك اليوم في الســوق، قطّعها بسلاسة، وسال منها الدم الوردي.

قالت كيتي بأدب: «لا أريد اللحم، شكراً».

«كلي قطعة صغيرة فقط»، وســقطت قطعة رقيقة من اللحم المغطى بالدم من شوكته على صحنها.

«قطعة صغيرة هي كلمة ميتشيل المفضلة»، التقط جو منديله، ووضع طرفه داخل ياقة قميصه.

سكبت لورا النبيذ لهم، كانت ترتدي قلادة أفريقية مزخرفة، عبارة عن شــريط سميك من الذهب المجدول مثبت بسبع حبات لؤلؤ حول عنقها.

قالت لها كيتي بإعجاب: «تبدين كالعروس».

ردت عليهـــا لورا: «كم هو غريب أن تقولي ذلك، فهذه القلادة بالفعل قلادة عروس تباع في متجرنا، إنها مصنوعة في كينيا».

كانت عينا كيتي تدمعان بســـبب صلصـــة فجل الخيل الحار الـــذي حملته بالملعقة ووضعته في فمها وكأنه ســـكر: «إذن ماذا تبيعان أنت وميتشيل في محل البضائع السريعة؟».

صححت لهـــا لورا: «هو متجـــر وليس محلاً لبيـــع البضائع الســـريعة، نحن نبيع الأســـلحة البدائية من بـــلاد فارس وتركيا والهند، ونبيع أيضاً المجوهرات الأفريقية الثمينة».

قال ميتشيل بحماس: «في الأساس نحن تجار أسلحة صغار، لكننا نبيع أيضاً الأثاث المصنوع من ريش النعام».

لفّ جو قطعة لحم بأصابعه، وغمسها في وعاء صلصة فجل الخيل الحار، ثم أنشد: «الأثاث مصنوع من النعام، وصلصة فجل الخيل الحار مصنوعة من الخيول».

ألقت نينا السكّينة من يدها وقالت: «اللعنة! اخرس».

عبس ميتشـــيل وقال: «يجب على الفتيات في مثل عمرك ألا يتلفظن بتلك الكلمات القبيحة».

أومأ والدها برأسه، وكأنه يؤيده تماماً، حدقت به نينا بغضب وهـــو يلمّع ملعقته بطـــرف المنديل. كانت تعلـــم أن والدها كثيراً ما يســـتخدم تلك الكلمات التي يســـميها ميتشيل قبيحة، عندما كانت تقول له مراراً وتكـــراراً إنها ملت من ارتداء أحذية قديمة منحطة، أو أن لون الجوارب المنحط لا يناســـب زيها المدرســـي، صحح والدها الشاعر كلامها، وقال لها: «في المرة القادمة قولي تلك الأحذية القديمة اللعينة، إن استخدام تلك الكلمات سيدعم قضيتك».

أضاف ميتشيل: «إن الكلمات القبيحة لا تليق إلا بالأفكار القبيحة»، وبكل خفة أشار إلى جانب رأسه الأصلع، ثم لعق مسحة من صلصة فجل الخيل الحار عن إبهامه: «عندما كنت بمثل عمرك لم أكن أتلفظ بتلك الكلمات أمام والدي».

نظر جو بحدة إلى ابنته، وقال: «نعم يا طفلتي، أرجوك لا تتفوهي بتلك الكلمات، وتهيني الحمقى الجالسين على هذه الطاولة، وبخاصة ميتشيل، فهو خطير، ولديه أسلحة؛ سيوف وبنادق عاجية».

لوّح ميتشيل بإصبعه: «في الواقع إن ما أحتاج إليه الآن هو مصيدة فئران لأن هناك قوارض في المطبخ».

نظر إلى كيتي فينش عندما قال: «قوارض».

أسقطت كيتي قطعتها من اللحم على الأرض، وانحنت باتجاه نينا: «صلصلة فجل الخيل الحار ليست مصنوعة من الخيول، هي مصنوعة من الفجل الذي ينتمي للفصيلة الخردلية، فهي من الخضراوات الجذرية، وعلى الأرجح يكثر والدك من أكلها لأنها مفيدة لعلاج التهاب مفاصله».

رفع جو حاجبه الكثيف: «ماذا؟ أنا لا أعاني من التهاب المفاصل!»

ردّت عليه كيتي: «على الأرجح أنك تعاني منه لأن جسمك يبدو متصلباً قليلاً عندما تمشي».

قالت لورا وهي تبتسم بخبث: «ربما هو يمشي كذلك لأنه كهل بعمر والدك». ما زالت لورا مندهشة من إصرار إيزابيل الشديد على مكوث تلك الشابة معهم حتى بعد أن سبحت وهي عارية، ورغم أنها تسعىٰ للفت انتباه زوجها الكهل كما هو واضح،

فمن المفترض أن تكون صديقتها هي الشريك الذي تمت خيانته في زواجهما، ومن المفترض أيضاً أن تكون مجروحة من خياناته ومحملــة بهموم ماضيه، كما أنه مــن المفترض أن تكون مخذولة ومخدوعة.

ومــرة أخرى أعلــن جو للجالســين علــى الطاولــة: «تهنئ لورا نفســها لفراســتها ونظرتها الثاقبة فــي التعامل مع الناس وصراحتها معهم أيضاً». قرص جو طرف أنفه بإصبعه وإبهامه، كانت تلك إشارة ســرية بينه وبين ابنته، وإن كان غير متأكد من معناها، لكنها ربما ترمز إلى حبهما الأبدي لبعضهما رغم عيوبه وحماقته ومضايقة كل منهما للآخر.

ابتســمت كيتي بتوتــر إلى لــورا، وقالت: «أشــكركم جميعاً لسماحكم لي بالبقاء».

راقبتها نينا وهي تقضم شــريحة خيار ثم تدفعها إلى طرف صحنها.

صحصحــت لها لورا: «عليك أن تشــكري إيزابيــل، فهي طيبة القلب جداً».

«لا أعتقــد أن إيزابيــل طيبة القلب، ماذا عنــك يا نينا؟ هل تعتقدين ذلك؟».

لفّ جو شريحة أخرى من اللحم الذي يقطر منه الدم ودسها في فمه.

كانت تلك إشــارة إلى نينا لكي تنتقد والدتها وتكسب تعاطف والدها، عليها أن تقول شيئاً مثل: «أمي لا تعرفني على الإطلاق». فــي الواقع أرادت أن تقــول: «أمي لا تعلم أنني أعرف أن والدي ســيقضي وقتاً حميماً مع كيتي فينش، وهي لا تعلم أنني أعرف

معنى كلمة مرض فقدان الشهية».

عوضاً عن ذلك قالت: «تعتقد كيتي أن الجدران يمكن أن تنفتح وتنغلق».

وعندما بدأ ميتشيل يحرك سبابته في دوائر حول أذنه، وكأنه يلمح إلى أنها مجنونة، مدّ جو يده وضرب يد ميتشيل بعنف لينزل إصبعه الوردي الساخر بقبضته البنّية المشدودة.

«من الفظاظة أن تكون طبيعياً لتلك الدرجة يا ميتشيل، فمن المرجح أنه حتى أنت كنت طفلاً في يوم من الأيام، ومن الممكن أنك اعتقدت أن الوحوش يختبئون تحت فراشك، والآن رغم أنك أصبحت إنساناً بالغاً عادياً ومنزهاً عن العيوب، فمن الممكن أحياناً أن تسترق النظر إلى تحت الفراش وتقول لنفسك إن الوحش يمكن أن يكون غير مرئي».

قلب ميتشيل عينيه، وحدّق بالسقف وكأنه يرجو منه المساعدة أو النصيحة، ثم قال لجو: «هل قال لك أحد يوماً كم أنت مغرور؟».

كان جرس الهاتف يدق، ورسالة الفاكس تنزلق من الجهاز وتشق طريقها إلى الصينية البلاستيكية بجانب كتيب معلومات الفيلا. وقفت نينا وذهبت لتلتقطها، ألقت بنظرة سريعة عليها ثم أخذتها لوالدها.

«إنها موجهة لك، عن أمسيتك الشعرية في بولندا».

«شكرا»، قبّل يدها بشفتيه الملطختين بالنبيذ، وطلب منها أن تقرأ له الرسالة بصوت عال.

وجبة الغداء عند الوصول

لائحتا طعام:

حســـاء البرش الأبيض مع البيض المسلوق والسجق، وحساء الصياد التقليدي مع البطاطا المهروسة، ومشروب غازي.

أو حساء الخيار البولندي التقليدي، وأوراق الملفوف المحشية باللحم والبطاطا المهروسة، ومشروب غازي.

الرجاء إرسال اختيارك بالفاكس

تنحنحت لورا، ثم سألته: «لقد ولدت في بولندا، أليس كذلك جو؟».

راقبت نينا والدها وهو يهز رأسه بشكل غامض:

« لا أذكر».

رفع ميتشيل حاجبيه ليعبر عن دهشته: «لا بد أنك تعاني من النسيان قليلاً حتى تنسى مكان ولادتك هكذا، أنت يهودي، أليس كذلك يا سيدي؟».

بدا جو مندهشاً، تســاءلت نينا إن كان ذلك بسبب مخاطبته لوالدها بكلمة ســيدي. قطبت كيتي كذلك حاجبيها، وجلســت مستقيمة في كرسيها، ثم وجهت كلامها إلى الجميع وكأنها كاتبة سيرة جو الذاتية.

«بالطبع ولد فــي بولندا، إن تلك المعلومــة مذكورة في كتابه

المعاطف. ولد جوزيف نووجرودسكي غرب بولندا عام 1937، ووصل إلى وايت تشابل شرقي لندن عندما كان في الخامسة من عمره».

«حسناً»، بدا ميتشيل حائراً مرة أخرى، وسأل: «إذن كيف أصبح اسمك جو جاكوبس؟».

تولت كيتي زمام الأمور مرة أخرى. كان الجمهور الصامت مترقباً لسماع الإجابة لدرجة أنه لو قامت كيتي بالقرع على كأس نبيذها بخفة وكأنها تعلن نيتها إلقاء خطاب فلن يندهشوا: «لقد غيّر المعلمون في مدرسته الداخلية اسمه كي يتمكنوا من تهجئته».

أصبحت الملعقة التي كان جو يصقلها طوال فترة العشاء الآن فضية وبراقة، وعندما رفعها وكأنه يتفحص نتيجة عمله الشاق تمكّنت نينا من رؤية انعكاس صورة كيتي المشوهة تطفو على ظهر الملعقة.

«مدرسة داخلية؟ أين كان والداك إذن؟».

لاحظ ميتشيل أن لورا كانت تتلوى في كرسيها، لقد غابت المعلومات التي يفترض أنه يعرفها حول جو عن ذهنه كلياً. بالطبع كانت لورا قد أخبرته في السابق، لكن المعلومات لم تثبت في ذهنه، أحس بالراحة عندما لم تأخذ كيتي فينش على عاتقها مهمة الإجابة عن سؤاله، وتمنّى لو أنه لم يسأل.

«على أية حال، أنت إنجليزي نوعاً ما، أليس ذلك صحيحاً جو؟».

أومأ جو برأسه: «نعم، أنا كذلك، أنا إنجليزي مثلك تقريباً».

«حسناً، ليس إلى هذه الدرجة يا جو».

أكد ميتشــيل بنبرة سعيدة جداً: «لكنني دائماً أقول للورا، إن ما نحس به في أنفسنا هو الأهم».

أيده جو: «أنت محقٌّ».

ظن ميتشــيل أنه قد توصل إلى شيء مهم، لأن جو كان مؤدباً في الحديث معه على غير العادة.

«إذن ما الذي تحس به في قرارة نفسك يا جو؟».

حدّق جو بالملعقة وكأنها جوهرة أو انتصار صغير حققه على الفضيات غير البراقة.

«يوجد ش. أ. غ. في داخلي».

«وما هذا سيدي؟».

«شعور أحمق غريب».

ربّت ميتشــيل، الذي أصبح ثملاً الآن، على ظهره بقوة ليؤكد التواصل الجديد الذي حققاه بينهما.

«أؤيــدك يا جوزيف.. لا أدري ما اســم عائلتك. لدي ش. أ. غ. ها هنا»، وضرب رأســه بطرف إصبعه بخفة، «بل لدي ثلاثة منهم».

عدلت لورا قدميهــا الطويلتين تحت الطاولــة، وأعلنت أنها أعــدت حلوى «الترايفل»، فقد قرأت الوصفة في كتاب «دورة فن الطبخ الكاملة» بقلم ديليا ســميث، وتمنت لو أن الكاســتردة لم تصبح صلبة، ولو أن الكريمة لم تتخثر.

الأحد
لصّ نبات الشوكران السام

بدأت العصافير تغريدها مع صوت أكواز الصنوبر وهي تتساقط على ماء المســبح الساكن، وتلك الرائحة النفاذة لإكليل الجبل الذي ينمو في الصناديق الخشبية على حافة النافذة. عندما استيقظت كيتي فينش أحســت بأنفاس شــخص ما تلامس وجهها، في بادئ الأمر اعتقدت أن النافذة قد انفتحت في الليل بسبب الرياح، لكنها رأته بعد ذلك، واضطرت أن تحشــر شعرها في فمها لتمنع نفسها من الصراخ. كان صبيٌّ أسودُ الشعر يقف بجانب سريرها ويلوح لها، خمّنت أن عمره خمسة عشــر عاماً، وهو يمسك دفتر ملاحظات فــي اليد التي لم يكن يلوح بها، كان دفتر الملاحظات أصفر اللون، والصبي يرتدي ســترة مدرسية، وربطة عنقه مدسوسة في جيبه، اختفى بعد ذلك داخل الحائط لكنها ما زالت تحس بالنسيم الذي حركته يده وهو يلوح لها حتى بعدما اختفى.

لقــد كان الصبي في داخلها، غاص فــي أعماقها، كانت تتلقى أفــكاره، وتحس بنواياه، غرســت أظافرها فــي وجنتيها، وعندما تأكدت أنها مستيقظة مشت باتجاه الأبواب الفرنسية، ونزلت إلى المســبح، لدغ زنبور رسغها وهي تســبح باتجاه العوامة التي كادت تخلو مــن الهواء، وســحبتها للجهة الضحلة من المســبح، لم تكن

متأكدة إن كان ذلك الطيف شبحاً أو حلماً أو هلوسة، وأياً كان أمره فقد علق في ذهنها لفترة طويلة. أنزلت رأسها تحت الماء، وبدأت تعد من واحد لعشرة.

كان يوجد شخص ما معها في المسبح.

تمكنت كيتي فينش بالكاد من رؤية أطراف أصابع إيزابيل جاكوبس وهي تجرف الحشرات التي كانت دائماً تموت في الجانب العميق من المسبح، وعنما أخرجت رأسها من الماء، كانت ذراعا إيزابيل القويتان تمزقان سكون الماء الأخضر البارد، وكومة الحشرات ترتعد فوق الحجر المرصوف بقرب المسبح. الزوجة الصحافية، كم كانت هادئة ومتفوقة، وعلى ما يبدو كان الجميع معتادين على اختفائها في نيس خلال أوقات الوجبات، وكانوا لا يتحدثون في ذلك الأمر، ولا سيما زوجها الذي كانت كيتي تأمل أن يكون قد قرأ قصيدتها. لقد قال إنه سيفعل ذلك بعد العشاء الذي بدا وكأنه لن ينتهي ليلة الأمس، قال إنه سيستلقي على فراشه وسيقرأ كلماتها.

«إنك ترتجفين يا كيتي».

سبحت إيزابيل باتجاهها، ووقفت المرأتان جنباً إلى جنب ترقبان ضباب الصباح المبكر وهو ينزاح ليكشف عن الجبال من ورائه. قالت لإيزابيل إنها تشعر بالدوار وبألم في أذنها، كانت تلك الطريقة الوحيدة التي يمكنها من خلالها أن تتكلم عما رأته صباح هذا اليوم.

«ربما أصبت بالتهاب في أذنك، فمن الطبيعي أنك تشعرين بالدوار».

حاولت إيزابيل أن تبين أنها تسيطر على جميع الأمور، لطالما تابعتها كيتي على التلفاز منذ ما يقارب الأعوام الثلاثة. كانت

إيزابيل جاكوبس تقف في صحراء الكويت بالقرب من هيكل عظمي لجمل، وتتكئ على دبابة محترقة، وتشير إلى أحذية متفحمة لبعض الجنود مبعثرة تحتها. وقفت بكامل أناقتها كما أنها كانت أكثر شراسة من الآن، وعندما غاصت في المسبح أمس، وأمسكت بكاحل كيتي كانت قبضتها قوية للغاية، لدرجة أنها خدشتها. ما زالت قدم كيتي تؤلمها بسبب ذلك، لقد تعمدت جرحها، لكن كيتي لم تتمكن من قول أي شيء لأن إيزابيل قامت لاحقاً بدعوتها للإقامة في الغرفة الإضافية، لم يجرؤ أحد على إبداء اعتراضه لأن المراسلة الحربية كانت تتحكم بهم جميعاً، وكأن الكلمة الأولى والأخيرة لها، أو كأنها تتحداهم لأن يعارضوها، بينما في الواقع كانت الكلمة الأخيرة لزوجها لأنه هو الذي يكتب الكلمات ثم يضع النقاط عند انتهاء الجمل، كانت كيتي تعرف ذلك، لكن ما الذي تعرفه زوجته؟

قفزت كيتي من الماء، ومشت إلى طرف المسبح لتلتقط أوراق الغار من شجيرة مزروعة في أصيص موضوع بقرب الجانب الضحل من المسبح، ثم خرجت إيزابيل من المسبح أيضاً، وجلست على طرف كرسي أبيض، كانت الزوجة الصحافية تشعل سيجارة وذهنها شارد، وكأنها تفكر في شيء أكثر أهمية مما كان يحدث حولها، ومن المؤكد أنها رأت المغلف القديم الذي تركته كيتي مستنداً إلى باب غرفة النوم، وقد كتب عليه:

«السباحة إلى المنزل

بقلم: كيتي فينش»

لم تقل لإيزابيل إنها كانت تشعر بالحر، وإنها لم تكن ترى بوضوح، كان جلدها يقشعر، وظنت أيضاً أن لسانها قد تورّم،

كما لــم تخبرها عن طيف الصبي الذي خرج من الحائط ليحيّيها عندما اســتيقظت. لقد ســـرق بعض نباتاتها لأنه عندما عاد إلى داخل الحائط كان يمســـك بباقة من نباتاتها بين ذراعيه، ظنت أنه كان يبحث عن طريقة ما ليموت، لقد سمعت كلماته برأسها وليس بأذنيها، كان يلوح لها وكأنه يحيّيها، ولكنها الآن أدركت أنه كان يلوح لها مودِّعاً.

«إذن، هل أتيت إلى هنا لأنك معجبة بأشعار جوزيف؟».

مضغت كيتي ورقة نبـــات الغار فضية اللون ببطء حتى تمكنت من السيطرة على صوتها لكي لا يظهر قلقها: «أعتقد أنني معجبة بها، رغم أنني لا أنظر إلى الأمر بهذه الصورة».

صمتت وانتظرت ليهدأ صوتها: «أعتبر أشعار جو وكأنها حوار معي أكثر من أي شيء آخر، هو يكتب عن أشياء كثيراً ما أفكر بها، نحن متصلان عصبياً».

اســـتدارت فرأت إيزابيل تطفئ عقب سيجارتها بأسفل قدمها الحافية، شهقت كيتي:

« ألا يؤلمك ذلك؟».

حتى ولو حرقت إيزابيل نفسها، فلم يبدُ أنها تبالي.

«ماذا تعنين عندما قلت إنك متصلة عصبياً بجوزيف؟».

« لم أعنِ شيئاً، لقد خطرت تلك الفكرة على بالي للتو».

لاحظت كيتي أن إيزابيل جاكوبس دائماً تقول اسم زوجها الكامل ولا تختصره، وكأنها وحدها تملك الأجزاء السرية والغامضة منه، تلـــك الأجزاء التي تكتب الأشـــعار، كيف تقول لهـــا إنها وجو كانا يتخاطران ذهنياً بالرســـائل مع بعضهما، وهـــي تجهل ذلك الأمر أصلاً؟ لا يمكنها مناقشـــة ذلك إلا مع جورغين نفسه، فمن المؤكد

أنه سيشرح لها الموضوع، ويخبرها بأنها تملك حواس إضافية لأنها شاعرة، ثم سيقول لها بعض الكلمات بالألمانية، وستعرف كيتي أنها كلمات حب، وفي أثناء الليل يصبح الهروب من جورغين صعباً، لذا كانت ممتنة لوجود الغرفة الإضافية لكي تهرب إليها، نعم، هي ممتنة نوعاً ما لإيزابيل لأنها أنقذتها من حب جورغين.

«عمَّ تتكلم قصيدتك؟».

تفحصت كيتي ورقة نبات الغار، وتتبع إصبعها خطوط عروقها الفضية.

«لا أذكر».

ضحكت إيزابيل من إجابة كيتي المهينة، وشعرت كيتي بالإهانة من ضحكة إيزابيل، ولم تعد تشعر بالامتنان لها، حدّقت بالمرأة التي أعطتها الغرفة الإضافية دون أن تكلف نفسها تزويدها بالملاءات أو الوسادات، ودون أن تلاحظ أنه لا يمكن فتح النافذة، وأن أرضية الغرفة مغطاة بمخلفات الفئران. كانت الصحافية تسألها الأسئلة وكأنها تتهمها بشيء ما، كانت رشيقة وطويلة وسواد شعرها كسواد شعر النساء الهنديات، وتضع خاتماً في يدها اليسرى لتظهر للناس أنها متزوجة، كانت أصابع يدها طويلة وناعمة وكأنها لم تنظف وعاءً، ولم تغرس إصبعاً بالتراب في يوم من الأيام، وهي لم تكلف نفسها عناء تزويد ضيوفها ببعض علّاقات الملابس. اضطرت نينا لأن تعطيها بعضاً من علّاقاتها، وعلى الرغم من ذلك استمرت إيزابيل جاكوبس بطرح الأسئلة لأنها تريد أن تسيطر على الأمور.

«قلتِ إنك تعرفين مُلّاك هذه الفيلا، أليس كذلك؟».

«بلى، صاحبة الفيلا طبيبة أمراض نفسية اسمها ريتا دوايتر، وهي صديقة والدتي، فهي تملك المنازل في العديد من الأماكن،

فـــي الواقع هي تملك اثني عشـــر عقاراً في لنـــدن وحدها، تُقدَّر القيمة بحوالي مليونين للعقار الواحد، ربما هـي تسأل مرضاها إن كانت عقاراتهم مرهونة ثم تستحوذ عليها».

ضحكت إيزابيل، وهذه المرة ضحكت كيتي معها.

«على فكرة، أشكرك على سماحك لي بالبقاء هنا».

أومأت إليها إيزابيل باســتخفاف، وقالت شيئاً عن الذهاب إلى الداخل لإعداد شـــرائح الخبز والعسل، راقبتها كيتي وهـي تركض عبر الأبــواب الزجاجية وتصطدم بلورا التي جلســت بعدها على طاولة المطبخ مرتدية ســماعات أذن مثبتة على رأسها والأسلاك تلتف حول عنقها. كانت لورا تتعلم لغة أفريقية ما، وكانت شفتاها النحيفتان تتمتمان الكلمات بصوت عال.

جلســت كيتي عارية ترتعد في نهاية المســبح، واســتمعت إلى المرأة الشــقراء الطويلــة ذات العينين الزرقاويــن الخائفتين وهي تردد الجمل الإيقاعية الآتية من قارة أخرى، وكان بإمكانها ســماع صوت جرس الكنيسة وهو يدق في القرية، وسمعت صوت شخص مــا يغني، وعندمــا نظرت إلى الأعلى اضطرت لأن تســيطر على نفســها كيلا تفقد أعصابها للمــرة الثانية صباح ذلك اليوم. كانت مادلين شــيريدان تجلس كالعادة في شــرفتها تحدق بها، وكأنها تتفحص المحيط بحثاً عن ســمكة قرش، فــاق ذلك الأمر احتمال كيتــي فقفزت إلى الأعلى، ولوحت بقبضتها باتجاه تلك الإنســانة الغامضة التي تحتسي شاي الصباح.

«لا تراقبيني طوال الوقت، ما زلت أنتظرك لتحضري حذائي يا دكتورة شيريدان، هل أحضرتِه؟».

غرباء يحنُّون إلى الوطن

كان جورغين يسحب مخلوقاً فضائياً قابلاً للنفخ طوله ثلاثة أقدام، ورقبته مجعدة، إلى مطبخ مقهى كلود، اشـــتراه من سوق الأغراض المســتعملة يوم الســبت، وكان هو وكلود يتحاوران في ثلاثة مواضيع بآن واحد. كلود الذي بلغ الثالثة والعشرين مؤخراً، والذي كان يعلم أنه يشـــبه ميك جاغر، يملك المقهى الوحيد في القرية، وكان ينوي بيعه إلى مطوري العقارات الباريســيين العام القادم، والسؤال الذي يود كلود معرفة إجابته هو: ما الذي جعل السياح يمنحون كيتي فينش غرفة لكي تقيم فيها؟

حك جورغين فروة رأسه، وهزّ ضفائره ليحاول فهم السؤال، أرهقـــه المجهود الذي بذله ليفهم الســؤال، لكنه لم يجد إجابة، أما كلود، الذي كان شعره الحريري يصل إلى كتفيه، وقد صففه بعنايـــة في محل حــلاقه غــالي الثمـــن، لكي يبدو طبيعياً وكأنه لا يهتم به، رجح أن كيتي تشـــعر بالاشمئزاز من ضفائر جورغين لأنها تعلم أن بإمكانها البقاء معه حينما تشـــاء، وفي الوقت ذاته كان الاثنان يستهزئان بميتشـــيل، الذي كان يجلس على الشرفة يلتهم الخبز الفرنســـي والمربى في انتظار أن يفتح محل البقالة أبوابه. كانت فواتير الحسابات غير المدفوعة للرجل البدين الذي يمتلك مجموعة بنادق قديمة تتراكم في المقهى وفي محل البقالة

الذي تديره والدة كلود. كان ميتشـيل سيؤدي بعائلة كلود بأكملها إلى الافلاس، وفي ذات الوقت أيضاً كان جورغين يشـرح قصة فيلـم «إي. تي»، بينما كان كلود يقشـر البطاطا، انتزع جورغين السـيجارة من بين شـفتي صديقه الممتلئتين، وبـدأ يدخن وهو يحاول أن يتذكر الفيلم الذي شاهده في موناكو قبل ثلاثة أعوام.

«إي. تـي» كائن فضائي صغير يجد نفسـه ضائعاً في كوكب الأرض الـذي يبعـد ثلاثة ملايين سـنة ضوئية عـن كوكبه، ثم يصادق فتى في العاشـرة من عمره، ويتواصلان بطريقة مميزة مع بعضهما.

غمز كلـود للكائن الفضائـي الصغير في مطبخه، وسـأل: «ما نوع ذلك التواصل؟».

هز جورغين ضفائره فوق فطيرة الكمثرى التي تم طهيها للتو، وتُركت لتبرد تحت نافذة المطبخ، وكأنها تركت هناك لتسـتدعي حبكة قصصية كان قد نسيها منذ زمن طويل.

«حسـناً.. إذا مرض (إي. تي) يمـرض الفتـى، وإذا جـاع (إي. تـي) يجوع الفتى، وإذا تعب (إي. تي) أو أحس بالحزن فإن الفتى يحس بالشـيء ذاته، فالمخلوق الفضائي والفتى يتواصلان عن طريق أفكارهما، فهما متواصلان ذهنياً».

تجهم وجه كلود لأن ميتشـيل ناداه، وطلب سـلة خبز أخرى وشـريحة من فطيرة الكمثرى التي تمت إضافتها للتو إلى لائحة الطعام. قال كلود لجورغين إنه لا يفهم السبب وراء عدم إحضار الرجـل البدين للمـال معه، رغم أنه يقيم فـي فيلا فخمة، لقد تخطت فواتير حسـاباته غير المدفوعة الحد المعقول: «على أية حال، كيف ينتهي فيلم (إي. تي)؟».

كان جورغين، الذي عادة ما ينسى الأشياء بسبب انتشائه من المخدرات، قد لمح جو جاكوبس من بعيد وهو يمشي بين الخراف التي ترعى في الجبال، ولسبب ما كان بإمكانه أن يتذكر كل جملة نطقها المخلوق الفضائي الصغير في الفيلم. اعتقد أن السبب وراء ذلك أنه هو أيضاً مخلوق فضائي، فهو فتى ألماني يحب الطبيعة ويعيش في فرنسا، شرح له بأن «إي. تي» أبعد نفسه عن الصبي لأنه خشي أن يتسبب بمرضه، وهو لا يريد أن يؤذيه، ثم وجد «إي. تي» طريقة ما مكنته من العودة إلى كوكبه.

وكز جورغين كلود، وأشار إلى الشاعر الإنجليزي الواقف بعيداً، بدا وكأنه يحيّي شيئاً خفياً لأن أصابعه كانت تلامس جبهته، لقد أعجب كلود بالشاعر كثيراً لأنه كان دائماً يترك له مبلغاً إضافياً كبيراً كمنحة له، ولأنه بطريقة ما أنجب ابنته المراهقة رائعة الجمال بساقيها الطويلتين. دعاها كلود شخصياً إلى المقهى لتناول بعض المشهيات، وحتى الآن لم تقبل دعوته، لكنه يعيش على أمل أن تفعل ذلك، لأن جورغين قال له في أحد الأيام إنه لا فائدة من الحياة دون أمل.

«إنه يؤمن بالخرافات، لقد رأى غراباً للتو، هو مشهور، هل تريد أن تصبح مشهوراً؟».

أومأ جورغين برأسه ثم عاد وهزه، وتناول القليل من زجاجة تحتوي سائلاً أخضر كانت موجودة بجانب زيت الطهي.

«نعم، أحياناً أعتقد أنه سيكون الأمر لطيفاً لو لم أعد للعمل كمشرف وتملّقني الجميع، لكن هناك مشكلة واحدة، فأنا لا أملك الطاقة لكي أكون مشهوراً، فلدي الكثير لأفعله».

أشار كلود إلى الشاعر الذي بدا وكأنه ما زال يحيّي الغراب.

«ربما يشعر بالحنين إلى الوطن، ربما يريد العودة إلى كوكبه».
تغرغر جورغين بالشراب الأخضر الذي عرف كلود أنه شراب النعناع المركّز، كان جورغين مدمناً على ذلك الشـــراب كما يدمن الناس الشراب المسكر، فالاثنان بنفس درجة اللون الأخضر التي تذكرنا بلون الجنّيات في القصص الخرافية.
« كلا، هـــو فقـــط يتجنب كيتي لا أكثر، إنه لـــم يقرأ ما كتبته كيتـــي، لذا هو يتجنبها، تلك الكيت تشـــبه «إي.تي»، فهي تعتقد أنها متصلة ذهنياً بالشاعر، لكنه لم يقرأ ما كتبته، ولسوف تحزن لذلك، وســـيرتفع ضغط الـــدم لديها، وســـتقتلهم جميعاً ببنادق الرجل البدين».

الاثنين
القناص

استلقى ميتشيل على ظهره وهو يتصبب عرقاً، كانت الساعة الثالثة فجراً، وقد انتابه كابوس أثناء نومه عن حشرة تدعى «أم أربعة وأربعين»، رأى في منامه أنه يقطع جسدها بالسكين، لكنها تنقسم إلى نصفين وتبدأ في النمو مرة أخرى، وكلما قطعها بالسكين زاد العدد، كانت الديدان تتلوى تحت قدميه وتتكاثر حتى غطت جسده كله ووصلت إلى أذنيه، ثم غطت نصل السكين بإفرازاتها اللزجة، ثم زحفت إلى داخل أنفه، وحاولت الوصول إلى داخل فمه. عندما استيقظ تساءل إن كان عليه إخبار لورا بأن قلبه يدق بسرعة وبقوة وكأنه على وشك الإصابة بنوبة قلبية. كانت لورا تنام بهدوء على جانبها رغم أن قدميها كانتا تتدليان خارج السرير، لا يوجد في العالم كله سرير طويل بما يكفي لجسد لورا، أما سريرهما في لندن فقد صممه لهما خصيصاً صانع سفن دنماركي ليناسب طولها، وليناسب عرض جسده. احتل السرير أكبر حيز في الغرفه التي بدت وكأن هناك سفينة شراعية تقطعت بها السبل حتى رست على بركة في حديقة المدينة، رأى شيئاً يزحف باتجاهه على طول الجدران، فندَّت عنه صرخة.

جلست لورا ووضعت يدها على صدر زوجها الذي كان يرتفع وينزل بقوة: «ماذا دهاك يا ميتش؟».

أشار إلى الشيء الذي يزحف على الجدار.

«إنها عثة يا ميتشيل».

وبالفعل فردت الحشرة جناحيها الرماديين، وطارت إلى الخارج عبر النافذة.

تمتم لها: «رأيت كابوساً، كان مريعاً جداً».

ضغطت على يده الحارة المبللة بالعرق، وقالت له: «عد إلى النوم، وسيتحسن شعورك في الصباح»، ثم تدثرت باللحاف واستلقت بجانبه.

كان من المستحيل أن يعاود النوم، غادر ميتشيل فراشه، وصعد إلى أكثر مكان يشعره بالأمان؛ المطبخ، فتح الثلاجة وأخذ زجاجة ماء، وعندما قرب الزجاجة من شفتيه وأخذ يشرب الماء البارد ليروي عطشه أحس بأنه لم يكن على ما يرام، مثل «أم أربعة وأربعين» التي رآها في كابوسه، وعندما رفع رأسه الذي أثقله الصداع لاحظ شيئاً مُلقى على أرضية المطبخ، لقد كان الفخ الذي نصبه للفئران، ويبدو أنه اصطاد شيئاً، بلع ريقه بقوة، وبدأ يمشي نحوه.

كان يستلقي في الفخ حيوان صغير وظهره إلى ميتشيل، لكنه لم يكن فأراً، تمكن من التعرف على ذلك الكائن، كان ذلك الشيء هو أرنب نينا البني المصنوع من النايلون، وكانت أذنه الطويلة عالقة في شباك الفخ، تمكن من رؤية ذيله الدائري الأبيض المهترئ والملصق المهترئ الذي خيط على رجله، وبطريقة ما علقت الشريطة الحريرية الخضراء التي كانت تحيط بعنقه

في شباك الفخ أيضاً، وجد نفسه يتصبب عرقاً وهو ينحني ليحرره من الشباك، ثم لاحظ ظلاً على الأرضية، يوجد شخص في المطبخ معه، لقد تسلل أحدهم إلى الفيلا، ولم يكن ميتشيل يحمل بنادقه معه، حتى سلاحه الفارسي المصنوع من خشب الأبنوس كان ليخيف من كان واقفاً هناك.

«مرحباً ميتشيل».

كانت كيتي فينش تستند على الحائط وهي عارية، تراقبه وهو يصارع كي لا تعلق أصابعه في الفخ الذي وضعه، تتناول قطعة الشوكولاته التي وضعها للفأر وذراعاها يغطيان صدرها.

«سأسميك القناص من الآن فصاعداً، لكنني حذرت جميع طيور البوم منك».

تحسس قلبه الذي يخفق بقوة، وحدّق بوجهها الشاحب الذي يشع بالفضيلة، لو كانت أسلحته معه لأطلق النار عليها، سيفعل ذلك لو كانت الأسلحة معه، سيصوب نحو بطنها، ثم تخيل كيف سيمسك البندقية ويحسب الوقت الذي سيضغط فيه على الزناد، سوف تسقط على الأرض، وستكون عيناها الرماديتان الخاليتان من الحياة مفتوحتين، وفي بطنها ثغرة تنزف دماً. طرف بعينه ورأى أنها لا تزال متكئة على الحائط تسخر منه بقطعة الشوكولاته التي كان قد وضعها بحذر شديد بين شباك الفخ، بدت نحيفة ومثيرة للشفقة، ثم أدرك أنه أخافها.

«آسف لأنني فاجأتك هكذا».

«فعلاً»، قالتها وكأنهما أصبحا صديقين حميمين فجأة: «أرعبتني، لكنني كنت خائفة على أية حال».

لقد كان مرتعباً أيضاً، ولوهلة فكر أن يخبرها بكابوسه.

«لماذا تقتل الحيوانات والطيور يا ميتشيل؟».

لقد كانت جميلة نوعاً ما بخصرها النحيل وشعرها الطويل الذي يلمع في الظلام، لكن شكلها كان رثاً أيضاً مثل المتسولين في محطات القطارات الذين يحملون لافتات تقول: «أنا مشرد» أو «أنا جائع».

ودون أن يشعر وجد نفسه يجيبها: «ذلك يشغل بالي عن الأشياء الأخرى»، وكأنه يعني ما يقول، وقد كان بالفعل يعني ما يقول.

«وما تلك الأشياء؟».

مرة أخرى فكّر في أن يخبرها ببعض الأمور التي تقلق راحته وتشغل باله، لكنه تمالك نفسه في الوقت المناسب، لن يثرثر أو يفصح عن مكنون نفسه مع شخص مجنون مثلها.

«إنك مجنون تماماً يا ميتشيل، توقف عن قتل الكائنات وستشعر بالتحسن».

«أليس لديك منزل تأوين إليه؟»، كانت نيته صافية عند السؤال حتى لو استشعر بعدها أن السؤال كان مهيناً.

«نعم، أنا أعيش مع والدتي حالياً، لكن منزلها ليس بيتي».

عندما انحنت لتساعده على تحرير الأرنب الدمية الذي سخر من فخه لم يستطع أن يستوعب لماذا يشكل شخص حزين مثلها خطراً.

«أتعلمين؟ لو أنك ارتديت قدراً أكبر من الملابس عوضاً عن التجول وأنت عارية لبدوتِ طبيعية أكثر»، هذه المرة ظن ميتشيل أن نواياه الصافية قد اتضحت أكثر.

الاختطاف

لم يكتشف جو اختفاء نينا إلا في السابعة صباحاً عندما ناداها بعدما أضاع قلمه الحبر المفضل. كانت ابنته هي الإنسانة الوحيدة التي يمكن أن تجد له القلم كلما أضاعه، وفي أي وقت، ولاحظت لورا أن ذلك الموقف الدرامي تكرر اثنتي عشرة مرة على الأقل خلال عطلتهم، كلما عادت نينا منتصرة وبيدها القلم إلى والدها المزعج المبتئس كان يحيطها بذراعيه، ويشكرها بصوت عال بشكل مسرحي بعدة لغات كالبولندية والبرتغالية والإيطالية، وبالأمس كانت الألمانية «دانكي دانكي دانكي».

لم يصدق أحد أن جو كان يصرخ وينادي ابنته لتبحث عن قلمه في هذا الوقت الباكر من الصباح، لكنه كان يصرخ بالفعل، ولم تجبه نينا. دخلت إيزابيل غرفة ابنتها، ووجدت أبواب الشرفة مفتوحة على مصراعيها، أزاحت الغطاء من فوق الفراش وهي تتوقع أن تجدها مختبئة تحته، لكنها لم تكن هناك، وكانت الملاءات ملطخة بالدماء، عندما سمعت لورا بكاء إيزابيل ركضت إلى الغرفة لتجد صديقتها تشير إلى الفراش، وتُخرج من بين شفتيها أصواتاً متحشرجة غريبة، كانت شاحبة كالجثث، وتقول للورا كلمات مثل «العظام» أو «الشعر» أو «ليست موجودة»، من الصعب فهم ما كانت تقوله.

اقترحت لورا أن تذهبا معاً للبحث عن نينا في الحديقة، وأخرجتها من الغرفة، انقضت الطيور الصغيرة على المسبح لتشرب من المياه الخضراء الساكنة، كان شخص ما قد ترك علبة شوكولاته بنكهة الكرز تذوب منذ أمس على الكرسي الأزرق الكبير لميتشيل، وقد غطاها النمل، وعلى كراسي المسبح الطويلة كانت هناك منشفتان رطبتان ممدودتان، وفي وسطهم، مثل حوار تم اقتطاعه، كان الكرسي الخشبي الذي سحبته إيزابيل لكيتي فينش، ومن تحته قلم جو ذو الحبر الأسود.

أمس أعاد جو ترتيب المكان، مشت المرأتان عبر أشجار السرو إلى داخل الحديقة الظمأى، فالمطر لم يهطل منذ أشهر، وقد نسي جورغين أن يسقي النباتات، كما كانت زهرة العسل تموت، وكانت التربة أسفل العشب البني جافة ومتشققة، وتحت أطول أشجار الصنوبر رأت لورا ثوب سباحة نينا المبلل ممدداً على أوراق الصنوبر، وعندما انحنت لتلتقطه أدركت كم أن نقشة الكرز تشبه بقع الدم. بدأت أصابعها تبحث في جيبها عن الحاسبة الصغيرة التي أحضرتها هي وميتشيل معهما للعمل على حسابات متجرهم.

«نينا بخير يا إيزابيل»، تلمست الحاسبة بأصابعها وكأنها تتأكد من أن الأرقام والرموز ما زالت موجودة هناك، حروف الذاكرة والنقطة العشرية ستنهي بشكل ما مسألة اختفاء نينا.

«ربما ذهبت لتتمشى، أقصد أنها بالكاد تبلغ الرابعة عشرة من عمرها، وليس من المعقول أنها..»، كادت تقول «قتلت»، لكنها غيّرت رأيها، وقالت «اختطفت» بدلاً عن ذلك.

لم تكد تنهي جملتها حتى وجدت إيزابيل تركض بين أشجار السرو بسرعة وبقوة جعلت الأشجار تهتز لعدة دقائق بعدما مرت بجانبها. راقبت لورا حالة الفوضى التي عاشتها الأشجار في تلك اللحظات، وكأن هذه النباتات فقدت توازنها، ولم تعرف كيف تستعيد شكلها الأصلي.

الأمهات والبنات

كانت الغرفة الإضافية مظلمة وحارة لأن النوافذ والستائر كانت مغلقة، وكان زوج من النعال المهترئة ملقى على الأرض فوق كومة من الأعشاب التي بدأت تجف، وكان شعر كيتي منسدلاً على وسادة متكتّلة مليئة بالبقع، وذراعاها اللتان كساهما النمش تحيطان بنينا التي كانت تمسك أرنبها المصنوع من النايلون والفرو، والذي كان آخر ما يربطها بطفولتها المحرجة. كانت إيزابيل تعلم أن نينا مستيقظة، وأنها كانت تتظاهر بالنوم تحت ما بدا وكأنه مفرش طاولة منشّى أبيض اللون، بدا وكأنه كفن.

«نينا، استيقظي»، كان صوت إيزابيل أكثر حدة مما أرادت.

فتحت كيتي عينيها الرماديتين، وهمست: «حاضت نينا في الليل فأتت لتنام عندي».

كانت الفتاتان نعستين ومرتاحتين وهما متعانقتان، لاحظت إيزابيل أن جميع الكتب المهترئة التي وضعتها كيتي على الرف هي من تأليف زوجها، وإلى جانبها كان هناك كأس ماء فيه براعم وردتين لونهما زهري؛ تلك الورود لم تكن موجودة إلا في حديقة مادلين شيريدان الأمامية، فقد زرعتها هناك لتذكر نفسها بإنجلترا أثناء وجودها في فرنسا.

تذكــرت تعليق كيتي الغريب صباح أمس بعدما ســبحتا معاً: «أعتبر أشعار جو وكأنها حوار معي أكثر من أي شيء آخر»، تُرى ما نوع ذلك الحوار الذي كانت تجريه كيتي فينش مع زوجها؟ هل كان عليهــا أن تلح على ابنتهــا بأن تخرج من الفراش، وأن تترك هذه الغرفة التي كانت شديدة الحرارة مثل الدفيئة؟ من الواضح أن كيتــي كانت تحبس الطاقة لتدفــئ نباتاتها، لقد صنعت عالماً صغيراً حاراً فوضوياً مليئاً بالكتب والفاكهة والورود، وكأنها بلدة صغيرة داخل حدود دولة فيلّا الســياح التي تمتلئ بنسخ لوحات ماتيس وبيكاسو، والتي وضعت في أطرها، وعُلقت على الجدران بعجالة.

زحفت نحلتان طنانتان على الستائر الصفراء بحثاً عن نافذة مفتوحة، كان الدولاب مفتوحاً، ولمحت إيزابيل رداءً أبيضَ قصيراً مصنوعــاً من الريش معلقاً فــي الزاوية. بإمكان كيتي أن تذهب إلى أي مكان وتشــعر بأنها في منزلهــا بفضل نحافتها وجمالها حتى وهي ترتدي خفين، هل يجب أن تلح على نينا بأن تستيقظ وتعود إلى غرفتها النظيفة الموحشــة فــي الطابق العلوي؟ يبدو انتزاعها من بين ذراعي كيتــي فينش وكأنه عمل عنيف، انحنت وقبّلت حاجب ابنتها الداكن الذي كان يرتعد قليلاً.

«تعالي وألقي التحية عندما تستيقظين».

أغلقت نينا عينيها بشدة، وأغلقت إيزابيل الباب.

عندما دخلت المطبخ قالــت لجوزيف ولورا إن نينا كانت تنام عند كيتي.

«آه، نعم، لقد خمنت ذلك»، حكّ زوجها مؤخرة عنقه، وتوارى عــن الأنظار في الحديقة بحثــاً عن قلمه الذي قالت له لورا إنه

«تحت كرســي كيتي»، كان قد غطى كتفيه العاريين بغطاء وسادة أبيض، فبدا وكأنه قد نصّب نفســه قســاً، فعل ذلك لكي يحمي كتفيه من الإصابة بالحروق عندما يجلس تحت الشمس ليكتب، لكن لــورا كانت تغتاظ من ذلك، عندما نظــرت إليه مرة أخرى كان يتفحص القلم الذهبــي وكأنه قد تعرض للتلف بطريقة ما، فتحــت الثلاجة لأن ميتشــيل أراد قطعة جــبن قديمة ليصطاد الجــرذ البني الذي رآه يركض في المطبخ ليلاً، لقد تمكن الجرذ من قضم القليل من الســلامي المعلق على خطاف فوق الصنبور، واضطر ميتشــيل لأن يتخلص منه، لم يكن ميتشيل مشمئزّاً من القارض بل كان غاضباً منه لأنه التهم الفتات الذي اشتراه بماله الذي تعب في اكتســابه، لقد أخذ الأمر على محمل شــخصي، وكأن الجرذ ينخر في محفظته ببطء.

الآباء والبنات

إذن، كانت ابنته الضائعة تنام في ســـرير كيتي، جلس جو في الحديقـــة بمكتبه المؤقت بانتظار أن يذهـــب الخوف الذي جعل أصابعه تمزق مؤخرة عنقه وهو يراقب زوجته تحدث لورا داخل الفيلا، كانت أنفاســـه تمـــلأ أرجاء الغرفـــة، وكان يجد صعوبة فـــي التنفس، هـــل ظن بأن كيتي فينش، التـــي توقفت عن تناول حبوب «السيروكسات»، كانت تعاني أكيداً بسبب ذلك، هل فقدت اتزانها وقتلت ابنته؟ كانت زوجته تمشي نحوه الآن عبر الفتحات بين أشـــجار الســـرو، حرك رجليه وكأن جزءاً منـــه يريد الهرب منهـــا أو الهـــرب إليها ربما، لـــم يكن يعرف إلى أيـــن يتجه، قد يحاول أن يقول شيئاً ما لإيزابيل، لكنه لم يكن متأكداً كيف يبدأ، لأنـــه لم يكن متأكداً كيف ســـينتهي، كان يظن أحياناً أنها بالكاد تستطيع أن تنظر إليه دون أن تخفي وجهها بشعرها، وهو كذلك لم يســـتطع أن ينظر إليها لأنه خانها كثيـــراً، ربما عليه الآن أن يحـــاول أن يقول لها على الأقل إنـــه عندما تخلت هي عن ابنتها الصغيرة لتنام في خيمة مليئة بالعقارب قد أدرك هو أن حياتها قـــد تصبح أكثر منطقية لو أنهـــا أصيبت بطلق ناري في منطقة حربية، عوضاً عن كذبـــه عليها وهي آمنة في منزلها، رغم ذلك كان يعلـــم أن ابنته كانت تبكي شـــوقاً لها في الســـنوات الأولى،

ثـــم تعلمت ألا تبكي لأن البكاء لـــم يُعد والدتها إليها، عوضاً عن ذلك - وقـــد فكر مراراً وتكراراً بهذا الموضوع - تســـببت محنة ابنتـــه له، وهو والدها، بمشـــاعر لـــم يتمكن مـــن التعامل معها بكرامة، كان قد أخبر قراءه كيف تم إرســـاله إلى مدرسة داخلية من قبل الأوصياء عليه، وكيف كان يراقب آباء وأمهات أصدقائه في المدرســـة وهم يغادرون المدرســـة بعد الزيارة أيام الأحد، ولو أن والديـــه زاراه أيضاً لكان مســـتعداً لأن يقـــف إلى الأبد على آثار إطارات ســـيارتهما في التـــراب، لقد كان والداه يزورانه في ســـاعات الليل وليـــس النهار، كانا يظهران له فـــي أحلامه التي ينساها فور اســـتيقاظه، لكنه كان يعتقد أنهما كانا يبحثان عنه، إن أكثـــر ما أقلقه هو ظنه بأنهما لن يجيدا التحدّث بالإنجليزية بما فيه الكفاية لكي يفهمهما الناس: «هل ابني جوزيف هنا؟ لقد كنا نبحث عنه في شتى أصقاع العالم؟»، بكى شوقاً لهما، ثم تعلم ألا يبكي لأن البكاء لم يُعِدْهما إليه.

نظر إلى زوجته الذكية التي لوحت الشـــمس جلدها وكســـته بالسمرة، وشـــعرها الداكن يخفي وجهها من ورائه. هذا الحوار الذي قد يُبدئ شـــيئاً أو ينهيه، لكنه ســـار على نحو خاطئ، كان عشوائياً جداً وأحمقَ. سمع نفسه يسألها إن كانت تحب العسل؟

«نعم، لماذا تسأل؟».

«لأنني لا أعرف الكثير عنك يا إيزابيل».

لو اســـتطاع أن يحشـــر مخلبه داخل كل فجوة في كل شجرة ليجمع لها أقراص العسل ويضعها تحت قدميها، لو ظن أنها قد تطيل البقاء معه ومع جروهمـــا. بدت إيزابيل عدوانية ووحيدة، وقـــد تفهّم ذلك، فمن الواضح أنه أثار اشـــمئزازها، لدرجة أنها

فضلت قضاء الوقت مع ميتشيل على قضاء الوقت معه.

سمعها تقول: «إن أهم شيء يمكن القيام به لبقية الصيف هو التأكد بأن تكون نينا بخير».

انفجر في وجهها: «بالطبع نينا بخير! لقد سهرت على رعايتها منذ أن كانت في الثالثة من العمر، وهي في أحســـن حال، أليس كذلك؟».

ثـــم أخرج دفتر ملاحظاته وقلم الحبر الأســـود الذي اختفى صبـــاح ذلك اليـــوم، وهو يعرف أنـــه يهزم إيزابيـــل كلما تظاهر بالكتابة وكلما تحدث عن ابنتهما، تلك كانت أســـلحته لإســـكات زوجته وإبقائها في حياته والمحافظة على تماسك عائلته، صحيح أنها عائلة تشـــوبها العيوب والعدوانية، لكنها عائلته، كانت ابنته هي أكبر انتصار له في زواجه، هي العمل الصائب الوحيد الذي قام به.

«نعـــم.. نعم.. نعم.. قالت: نعم.. نعم.. نعم.. تحب العســـل»، خطّ قلمـــه تلك الكلمـــات بعدوانية على الصفحـــة وهو يراقب فراشـــة بيضاء تحوم فوق المســـبح، كانت كالنسيم، كانت معجزة وأعجوبة، كان هو وزوجته قد عرفا أشياء من المستحيل معرفتها، وشـــهدا الحياة وهي تتداعى، فإيزابيل شهدت وصورت الكوارث لتحاول أن تجعل الناس يتذكرون، وهو يحاول إجبار نفســـه على النسيان.

جمع الحجارة
«يوجد ثقب في المنتصف»

التقطت كيتي حصاة بحجم كفها وناولتها لنينا كي تنظر عبر الثقب، كانتا جالستين على أحد الشواطئ العامة في نيس تحت الـ بروميناد ديز آنجلي. قالت كيتي إنه في الشواطئ الخاصة يتعين عليهم دفع مبالغ كبيرة لاستخدام كراسي الاستلقاء في الشمس، وكذا للمظلات، كما أن جميع الناس بدوا وكأنهم مرضى على أسرّة مستشفى، وكان ذلك يخيفها، كانت أشعة الشمس تحرق وجهها الشاحب تاركة بقعاً وردية عليه.

أطاعتها نينا، ونظرت عبر الثقب، رأت شابة تبتسم، وقد ثبّتت جوهرة بنفسجية على أحد أسنانها الأمامية، عندما أدارت الحصاة إلى الجانب الآخر كانت الشابة تخرج الطعام من الحقيبة، كانت هناك أيضاً امرأة أخرى تجلس على كرسي منخفض وهي تمسك في يدها اليمنى بمقبض كلب أبيض كبير، كان الكلب يشبه الذئب الثلجي، وهو من فصيلة الهاسكي وعيناه زرقاوان، حدقت نينا بعينيه الزرقاوين من خلال ثقب الحصاة، لم تكن متأكدة، لكنها ظنت أن الكلب يقوم بفك أربطة حذاء المرأة التي وضعت جوهرة على أسنانها.

رأت نينا كل تلك المقاطع عبر الثقب في الحصاة، وعندما نظرت مرة أخرى اكتشفت أن المرأة التي ترتدي قميصاً قطنياً أسود كانت تملك ذراع واحدة فقط، أدارت الحصاة وأمسكتها بالطول ونظرت إلى جانبيها وعيناها نصف مغلقتين، فرأت المرأتين تقتربان من بعضهما، سمعت نينا صوت أنفاسها تتصاعد، فقد كانت تفكر طوال العطلة بما ستفعل إذا وجدت نفسها وحيدة مع كلود، لقد دعاها إلى مقهاه لتناول المشهّيات، لم تكن متأكدة من ذلك، وعلى أية حال فقد حدث شيء ما بدّل كل الأمور من حولها.

ليلة أمس عندما استيقظت اكتشفت أنها حاضت لأول مرة، اضطرت لارتداء ثوب السباحة لأنه الشيء الوحيد الذي وجدته من حولها، ثم طرقت على باب كيتي لتنقل إليها الخبر، كانت كيتي مستلقية تحت غطاء طاولة قديم، وقد كومت أحد فساتينها لتصنع منه وسادة.

«لقد حضتُ».

في البداية لم تعرف كيتي ماذا كانت تقصد، ثم أمسكت بيد نينا وركضتا إلى الحديقة، تمكنت نينا من رؤية ظلها في المسبح وفي السماء في الوقت ذاته، كان ظلها طويلاً جداً، لم تكن له بداية ولا نهاية، كان جسدها ممتداً وفضفاضاً، أرادت أن تسبح، وعندما أصرت كيتي على أن موضوع الدم غير مهم تحدّت نفسها لتخلع بذلة السباحة وتتعرى، وراقبت ظلها التوأم وهو يقوم بفك رباط علاقات ثوب السباحة بشجاعة أكبر من التي تشعر بها نينا الحقيقية، وأخيراً قفزت في الحوض، وخبأت نفسها تحت الأوراق التي طفت على سطح الماء، ولم تكن متأكدة

ماذا تفعل بجسدها الجديد لأنه كان يتحول إلى شيء غريب ومحيّر بالنسبة لها.

سبحت كيتي نحوها، وأشارت إلى الحلزونات الفضية التي تزحف على الحجارة بجانب المسبح، قالت إن النجوم تنثر غبارها فوق كل شيء، وكانت هناك أجزاء صغيرة من النجوم فوق الحلزون، ثم رمشت بعينيها.

رم رم رم رم رم رمشت.

أثناء وقوفها عارية في المسبح تظاهرت نينا بأنها تعاني من إعاقة شديدة في النطق، وأخذت تتخيل أصواتاً متلعثمة في رأسها، شعرت وكأنها إنسانة أخرى، وكأنها إنسانة قد بدأت تعيش للتو، شعرت وكأنها ليست هي، أحست بسعادة غامرة، فغمرت رأسها في الماء لتحتفل بمعجزة قدوم كيتي فينش، لم تعد وحدها مع لورا وميتشيل ووالدتها ووالدها اللذين لم تكن متأكدة من أنهما يحبان بعضهما ولو قليلاً.

رمت نينا بالحصاة في البحر، ويبدو أن ذلك أزعج كيتي، فقد وقفت وسحبت نينا لتقف على رجليها أيضاً: «أحتاج إلى أن أجمع المزيد من الحصى، تلك التي رميتها كانت مثالية».

«لمَ تحتاجين إليها؟».

«لأقوم بدراستها».

كانت نينا تعرج لأن حذاءها الرياضي كان يحتك بالجروح التي على عقبيها، قالت وهي تتذمر: «كيتي، إنها ثقيلة ولا أقوى على حملها، أريد أن أعود الآن».

كانت كيتي تتصبب عرقاً، وكانت رائحة أنفاسها حلوة.

«حسناً، آسفة لإضاعة وقتك، هل سبق لك أن نظفت الأرضية يا نينا؟ هل جثوت على ركبتيك ويديك وأمسكت بقطعة قماش مهترئة بينما تصرخ فيك أمك لتنظفي الزوايا؟ هل نظفت السلالم بالمكنسة الكهربائية أو أخرجتِ القمامة قط؟».

من الواضح أن تلك الفتاة المدللة التي ترتدي بنطالاً قصيراً غالي الثمن - لقد رأت الرقعة المثبتة عليها العلامة التجارية - بشعرها الذي قصت أطرافه المقصّفة، كانت قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها دون أن تبذل أي مجهود في حياتها.

«تحتاجين إلى مشكلات حقيقية لكي تأخذيها معك إلى منزلك الفخم في لندن».

ألقت بحقيبة الظهر المليئة بالحصى على الأرض، ثم توجهت إلى البحر وهي ترتدي ثوبها الأصفر الباهت الذي قالت إنه يجعلها سعيدة جداً، راقبتها نينا وهي تغوص في الأمواج. منزل لندن الذي تحدثت عنه كيتي لم يكن منزلاً حميماً في الواقع، فأمها كانت دائمة السفر، وأحذيتها وأثوابها مصفوفة في الدولاب وكأنها تعود لشخص آخر قد وافته المنية. عندما كانت في السابعة والقمل دائماً ما ينتشر في شعرها كان المنزل يعبق برائحة خلطاتها السحرية التي تعدها من مرطبات وجه والدتها ورغوة حلاقة والدها، عبقت رائحة المنزل الكبير في غرب لندن بروائح أشياء أخرى كذلك، فقد عبقت برائحة صديقات والدها ومساحيقهن المختلفة، وعبقت برائحة عطر والدها الذي صنعته له امرأة سويسرية من زيورخ تزوجت رجلاً يملك خيولاً استعراضية في بلغاريا، قال إن عطورها «تفتح ذهنه»، وبخاصة عطره المفضل المسمى «ماء هنغاريا»، عبق المنزل الفخم برائحة

مكانته المميزة والملاءات التي كان دائماً ما يضعها في الغسالة بعد مغادرة صديقاته في الصباح، وعبق المنزل كذلك برائحة مربى الدراق الذي كان يأكله بالملعقة مباشرة من العبوة الزجاجية، قال إن المربى تغيّر الطقس في داخله، لكنها لم تعرف حالة الطقس الذي في داخله على أية حال.

إنما كانت تدرك الأمر بطريقة ما، فأحياناً عندما تدخل مكتبه كان يثير شفقتها بقامته المنحنية وهو يرتدي رداء المنزل، صامتاً وساكناً وكأنه مثبَّت في مكانه بشيء ما. اعتادت على الأيام التي يكون فيها غارقاً في كرسيه رافضاً أن ينظر إليها أو أن يغادر كرسيه لعدة ليالٍ على التوالي، كانت تغلق باب مكتبه، وتحضر له أكواب الشاي التي لا يلمسها لأنها كانت تجدها في مكانها عندما تحدثه من وراء الباب - وقد تكونت طبقة شاحبة لزجة على سطح الشاي - لتطلب منه مصروفها أو ليوقع لها على إذن مدرسي للذهاب في رحلة مدرسية، في نهاية المطاف كانت توقع ذلك الإذن بنفسها بقلمه الحبر، لهذا السبب كانت تعرف مكان القلم دائماً، عادة ما يكون تحت سريرها أو في الحمام مسنوداً بجوار فرشاة أسنانها. اخترعت توقيعاً يمكنها أن تقلده دائماً: (ج.ه.ج) بنقطة بين الأحرف، وتمد الخط في نهاية الجيم الأخيرة، وبعد فترة كان مزاجه يتحسن ويأخذها إلى مطعم «آنجوس ستيك هاوس»، حيث يجلسان على الطاولة الحمراء المخملية الباهتة نفسها دائماً، لم يتحدثا أبداً عن طفولته أو عن صديقاته، لم يكن ذلك اتفاقاً سرياً ضمنياً بينهما بل كان كشظية زجاج صغيرة عالقة أسفل قدمها، كانت الشظية دائماً هناك، وكانت تؤلمها قليلاً، لكنها تستطيع أن تتحمل ذلك الألم.

عندما عادت كيتي وثوبها يقطر ماءً كانت تقول شـــيئاً، ولكن كلب الهاسكي كان ينبح باتجاه طيور النورس، كانت نينا تستطيع بالكاد أن ترى شفتي كيتي تتحركان وهي تعلم، ويعتصرها شعور غريب في الداخل، بأنها ما زالت غاضبة أو أنه يوجد خطب ما، وعند توجههما للســـيارة قالت كيتي: «سألتقي والدك في مقهى كلود غداً، سيحدثني عن قصيدتي، أنا متوترة جداً يا نينا، أتمنى لـــو أنني حصلت على وظيفة مؤقتـــة خلال عطلة الصيف بحانة في لندن، ولكني لا أحفل لهذا الأمر، لا أعلم ما الذي سيحدث».

لـــم تكن نينا تســـمعها، لقد لمحـــت للتو ولداً يرتـــدي بنطالاً فضياً قصيراً يتجول بحذاء التزلج على المشـــى حاملاً كيســـاً من الليمون بذراعه الســـمراء، كان يشبه كلود، لكنه لم يكن هو، عندما سمعت طائراً ما يزعق بطريقة جعلتها تظن أنه يتألم، لم تجرؤ على النظر إلى الشـــاطئ، ظنت أن الهاسكي أو ذئب الثلج ذاك قد تمكـــن أخيراً من اصطياد النـــورس، أو ربما لم يحدث ذلك، على أيـــة حال لقد لمحت للتو العجـــوز التي تعيش بالمنزل المجاور لهم تمشي في المتنزه، كانت تحدث جورغين الذي يرتدي نظارات بنفســـجية اللون بعدســـات على شكل قلب، نادتهما نينا ولوحت لهما.

«تلك مادلين شيريدان، جارتنا».

حدقت بهما كيتي، وقالت: «نعم أعلم، تلك العجوز الشريرة».

«هل هي كذلك؟».

«نعم، تناديني كاثرين وكادت تقتلني».

بعدمـــا قالت ذلك قامـــت كيتي بعمل شـــيء مخيف، لدرجة أن نينـــا لم تصدق عينيها، انحنـــت كيتي إلى الخلف حتى لامس

شعرها النحاسي باطن ركبتيها، وهزت رأسها من جانب إلى آخر بسرعة شديدة، بينما اهتزت وتأرجحت يداها فوق رأسها، تمكنت نينا من رؤية حشوات أسنانها، ثم رفعت كيتي رأسها، وأشارت لماديلين شيريدان بحركة بذيئة بإصبعها.

لقد كانت كيتي فينش معوقة ذهنياً.

وصول مساعدات طبية من أوديسا

كانت ماديلين شيريدان تحاول أن تدفع ثمن حفنة من المكسرات المغطاة بالكراميل التي اشترتها من البائع المكسيكي الموجود بجانب المشى، جعلتها رائحة السكر المحروق تتلهف لتناول المكسرات التي أملت أن تخنقها حتى الموت، كانت أظافرها تتكسر وعظامها تضعف وشعرها يتساقط ويختفي خصرها إلى الأبد؛ لقد تحولت إلى ضفدع بعدما تقدم بها العمر، ولو تجرأ أحد وقبّلها فلن تتحول إلى أميرة لأنها لم تكن يوماً أميرة.

«تلك النقود المعدنية اللعينة، ما قيمتها يا جورغين؟»، وقبل أن يجيبها جورغين همست له: «هل رأيت كيتي فينش وهي تشير إليّ بإصبعها؟».

هزّ كتفه: «بالطبع، كيتي كيت لديها شيء لتقوله لك، لكنها الآن لديها بعض الأصدقاء الجدد الذين يشعرونها بالسعادة، يجب أن أحجز لنينا درساً في ركوب الخيل، وسوف تأخذها كيت».

سمحت له بأن يأخذ ذراعها ويقودها (أسرع مما تحتمل) إلى داخل إحدى الحانات على الشاطئ. كان هو الشخص الوحيد الذي حدثته عن تفاصيل حياتها في إنجلترا وهروبها من زوجها، كانت تقدر ذهاب عقله وتخدره الدائم لأن تلك الحالة تجعله

غير قادر على الحكم على الناس، وبالرغم من فارق العمر بينهما لكنها استمتعت برفقته، لم يكن لديه شيء يفعله في حياته سوى أن يعتاش على ما يعطيه له الناس، وعلى حسّه الفكاهي، كما أنه دائماً يشعرها بالاحترام عوضاً عن أن يشعرها بأنها حالة حزينة، ربما لأنه لم يكن يسمع جيداً.

هي اليوم لا تكاد تسمعه، فوصول كيتي فينش كان خبراً سيئاً، كانت تفكر في ذلك وهي تحدق بزورق بخاري يخلف وراءه خطوطاً من الرغوة البيضاء على سطح البحر الأزرق، وعندما وجد طاولة في الظل وساعدها على الجلوس في أحد الكراسي الذي يتسع بالكاد لضفدع من الضفادع، لم يعِ أنها اضطرت لأن تلوي جسدها بشكل مؤلم لكي تتمكن من الجلوس، كان ذلك عملاً ينم عن اللامبالاة من جانبه، لكنها لم تهتم لأن رؤية كيتي فينش شتتت ذهنها.

حاولت أن تهدئ نفسها بأن تلح على جورغين بأن ينزع نظارته الشمسية.

«أشعر وكأنني أنظر عبر ثقوب سوداء».

سيحل عيد ميلادها بعد أربعة أيام، لكنها الآن تشعر بالظمأ في هذا الجو الحار، كادت تجن من شدة العطش، كانت تتطلع إلى موعدهما على الغداء منذ أسابيع، وصباح ذلك اليوم اتصلت بمطعمها المفضل لتعرف لائحة طعام اليوم ومكان طاولتهما، وطلبت من رئيس الندل أن يحجز مكاناً لتوقف سيارتها أمام باب المطعم مقابل مبلغ إضافي سخي، صرخت في النادل، وطلبت أن يحضر لها الويسكي ومشروباً غازياً لجورغين الذي يكره المشروبات الكحولية لأسباب روحانية. كان من الصعب على

امرأة عجوز أن تحظى بانتباه النادل حين يكون مشغولاً بخدمة النساء اللاتي يتشمسن شبه عاريات، لقد سمعت قصصاً عن بعض كبار حكماء اليوغا الذين أتقنوا القدرة على الاختفاء عن طريق ممارسة التركيز والتأمل، ويبدو أنها بطريقة ما تمكنت من جعل جسدها غير مرئي للنادل دون أدنى جهد منها؛ لوحت له بذراعيها وكأنها في جزيرة نائية تلوح للطائرة التي ستنقذها، أشار جورغين إلى عازف الأكورديون القادم من مارسيليا الذي كان يجلس على صندوق خشبي بجانب جهاز لعبة الكرة، كان العازف يتصبب عرقاً وهو يرتدي بذلة سوداء أكبر من مقاسه بثلاث مرات.

«سوف يعزف في عرس ما بعد ظهر اليوم، قال لي النحال القادم من فالبون ذلك، لو تزوجت يوماً ما فسأطلب منه أن يعزف في عرسي أيضاً».

كانت مادلين شيريدان ترشف الويسكي الذي طلبته بصعوبة، وقد دهشت من ارتفاع حدة صوته فجأة.

«الزواج ليس فكرة جيدة يا جورغين».

أبداً، ليست جيدة، بدأت تخبره (مرة أخرى) كيف أن أكبر حدثين في حياتها كانا تركها عائلتها لتدرس الطب، وتركها لزوجها لكي تعيش في فرنسا، وقتها أدركت أن حب بيتر شيريدان لم يشبعها، وأنها استبدلت حياة محترمة خالية من السعادة بحياة غير محترمة خالية من السعادة أيضاً، لأنها امرأة قطعت جميع ما يربطها بالحب، وتبين لها الآن وهي تحدق برفيقها، الذي كان صوته يرتجف بشدة، أنه رغم قلبه التالف (بسبب الإكثار من السجائر) لكنه أراد أن يتزوج ويبحث عن شريكة حياته، وقد أشعرها ذلك بالإهانة.

لقد ذكرها ذلك بتلك المرة عندما كانا يسـيران على الشاطئ فـي فيلفرانش، ورأيا عرسـاً مقامـاً في المرفـأ، كانت أثواب إشـبينات العروس من الحرير الأصفـر، وكان ثوب العروس من السـاتان الأبيض الباهت والأصفر، سـخرت منهم بصوت عال، لكن ماذا قال جورغين؟

«أعطيهم الفرصة».

وقـد أتت تلك الإجابة من نفس الرجـل الذي قال لصديقته منذ بضعة شهور إن الحياة علمته أن الزواج ليس فكرة جيدة، لم تصدقه، وأخذته إلى مطعم أرجنتيني لتطلب الزواج منه، ووسط أكوام الخشـب المعطر وقطع اللحم المستوردة من سهول وبراري أميـركا والموضوعة على النار أكلت صديقته اللحم الأحمر حتى لاحظت أن جورغين لم يكن يأكل، ثم تذكرت أنه نباتي متعصب، وربما ضحكت بصوت أعلى مما ينبغي عندما أخبرها بذلك.

«أعتقد أن كيتي فينش تريد أن تؤذيني».

«حقـاً؟ كلّا»، وقطّـب جبينه وكأنه يتألـم: «كيت لا تؤذي إلا نفسها، سألني كلود لماذا ألحت مدام جاكوبس عليها لتقيم معهم، لكنني لا أعرف السبب».

حدقـت بصديقها بعينها التي تعاني مـن قصر النظر وعدم وضوح الرؤية، وقالت: «أعتقد أنها تريد أن تشتت الفتاة الجميلة المجنونة انتباه زوجها كي تتركه أخيراً».

فجـأة أحـس جورغين بالرغبة في شـراء مشـروب لعازف الأكورديون، نادى النادل، وطلب منه أن يعرض الجعة على الرجل الذي يرتدي بذلة كبيـرة، راقبت ماديلين النادل وهو يهمس في أذن عازف الموسيقى، وحاولت أن تنسى كيف صادفت كيتي فينش

في النفق بجانب سوق أزهار في منطقة كورساليا منذ أربعة أشهر. كان لقاؤهما شيئاً آخر أرادت أن تضيفه إلى اللائحة الطويلة للأشياء التي ترغب بنسيانها.

ففي صباح يوم ربيعي منعش كانت في طريقها لشراء قطعتين من صابون مارسيليا، أرادت أن تشتري قطعة مصنوعة من زيت النخيل وأخرى من زيت الزيتون، وكلتاهما ممزوجتان بأعشاب بحرية من البحر المتوسط من صنع حرفي مشهور يعيش هناك، وفجأة وجدت الفتاة الإنجليزية ذات الشعر الأحمر، كانت كيتي عارية، وتكلم نفسها وهي تجلس على صندوق من البرقوق الفاسد ألقاه المزارعون نهاية اليوم، كان الرجال المشردون الذين ينامون في النفق يضحكون عليها، ويتبادلون التعليقات البذيئة عن جسدها العاري، وعندما سألتها ماديلين شيريدان عما حدث لملابسها، قالت إنها موجودة على الشاطئ، عرضت عليها ماديلين أن تذهب إلى الشاطئ لتحضر لها ملابسها، ويمكن لكيتي أن تجلس مكانها وتنتظرها، ثم يمكنها أن توصلها بالسيارة إلى فيلا السياح، حيث كانت تقيم لدراسة النباتات الجبلية، لقد كانت تمكث هناك أحياناً عندما لا تؤجر ريتا دوايتر الفيلا لمديري «صندوق الشجيرات»، لأن والدة كيتي كانت تنظف منزلها، حيث إن السيدة فينش هي الذراع اليمنى لريتا دوايتر، كانت سكرتيرتها وطباختها، ولكنها أغلب الوقت كانت عاملة التنظيف في منزلها لأن ذراعها اليمنى كانت دائماً تحمل مكنسة.

ألحت عليها كيتي أن تذهب، وإذا لم تفعل فسوف تستدعي الشرطة، كان بإمكان ماديلين شيريدان أن تتركها هناك، لكنها لم تفعل ذلك، كانت كيتي أصغر من أن تحدث نفسها بين المشردين

شبه الأموات وهم يحدقون بصدرها. دهشت عندما غيرت الفتاة رأيها فجأة، فعلــى ما يبدو أنها تركت بنطالها الجينز وقميصها القطني وحذاءها المفضل المنقط بالأحمر على الشــاطئ المقابل لفندق نيجريســكو، انحنت كيتي نحوها، وهمســت: «بصراحة ســأنتظرك هنا ريثما تحضريهن»، مشت ماديلين شيريدان إلى نهاية الشارع، وعندما ظنت أن كيتي لن تتمكن من رؤيتها اتصلت بالإسعاف.

في رأيها كانت كاثرين فينش تعاني من القلق النفسي وفقدان الوزن ونقص النوم والاضطراب والميول الانتحارية والتشاؤم من المستقبل وعدم القدرة على التركيز.

رفع الموســيقي كأس الجعة ليشكر الرجل ذا الخصر النحيل الذي يجلس مع المرأة العجوز.

شــفيت كيتي من علاجهــا العاجل، ثم أخذتهــا والدتها إلى بريطانيا، وقضت شــهرين في مشفى حديقة إنجلترا في مدينة كنت. على ما يبدو كانت الممرضات قادمات من ليتوانيا وأوديسا وكييف، كن يشــبهن قطرات ثلج متناثرة على حدائق المستشفى الخضراء بزيّهن الأبيض، كان ذلك ما قالته كيتي فينش لوالدتها، وما قالته والدتها لماديلين شيريدان التي ذهلت عندما عرفت أن الممرضات يكثرن التدخين أثناء استراحة الغداء.

وكزها جورغين بمرفقه، كان عازف الأكورديون من مارسيليا يعزف لها لحناً، لكنها لم تستطع أن تسمع لأنها كانت منفعلة.

لقد شُــفيت كيتي، وقد عــادت الآن لمعاقبتها أو حتى لقتلها، لمــاذا كانت هنــا إذن؟ لم تعتقد أن كيتي عاقلــة بما فيه الكفاية لتأخذ نينا إلى الشاطئ بالســيارة وتقودها في الطرق الجبلية،

يجب أن تقول لإيزابيل جاكوبس ذلك، لكنها لم تستطع إجبار نفسها على إجراء ذلك الحوار معها، لقد كانت في طريقها لشراء الصابون وانتهى بها المطاف في الاتصال بالإسعاف، الذي يسمى في فرنسا خدمة النقل الصحي، لذا لم تحس أنها بريئة تماماً، ومهما يكن فإن الفتاة عارية في مكان عام، وتقفز للأمام ثم إلى الخلف، وتتمتم بشيء غير مفهوم، وقد جعلها ذلك تشعر بالخوف من تلك الشابة المسكينة، كان من المستحيل أن تصدق أن أحداً لا يرغب بأن يتم إنقاذه من هذيانه.

عندما أومأ عازف الأكورديون برأسه لجورغين، عرف المشرف أنه قد حالفه الحظ، سيشتري الحشيش، وسيدخنه مع كلود، وسيخرجان من الريفييرا، بينما يسعى السياح لدخولها. ارتدى نظارته البنفسجية مرة أخرى، وقال لماديلين شيريدان إنه كان سعيداً جداً جداً اليوم، ولكنه يشعر بأنه ليس على ما يرام لإحساسه بالألم في أمعائه، اعتقد أن أمعاءه الغليظة مسدودة لأنه لم يعش حلمه؛ ماذا كان حلمه؟ ارتشف قليلاً من المشروب الغازي، ولاحظ أن الطبيبة الإنجليزية قد تأنقت لتناول الغداء، لقد وضعت أحمر الشفاه، وكان شعرها، أو ما تبقى منه، قد غسل وصفف، لم يستطع أن يقول لها إن حلمه كان أن يفوز باليانصيب ويتزوج كيتي كيت.

الثلاثاء
القراءة والكتابة

استلقى جو جاكوبس على ظهره في غرفة النوم الرئيسية، كما تم وصفها في كتيب معلومات الفيلا، وهو يتمنى تناول أكلة الكاري، أكثر مكان تمنى أن يكون فيه صباح هذا اليوم هو مشغل الخياطة الهندوسي في منطقة «بيثال غرين»، وهو محاط بالحرير بينما يرتشف الشاي الحلو. افتقد طعم العدس في الألب البحرية، وافتقد الأرز والروب والحافلات، افتقد الحافلات ذات الطوابق العلوية والصحف اليومية ونشرة أحوال الطقس، أحياناً كان يجلس في مكتبه غرب لندن وهو يستمع لنشرة أحوال الطقس في إسكتلندا وإيرلندا وويلز على المذياع باهتمام. إذا كان الطقس مشمساً غرب لندن فإنه يحس بالراحة عندما يعرف أن الثلوج تتساقط في إسكتلندا والمطر ينهمر في ويلز، الآن عليه أن يجلس وألا يستلقي، والأسوأ من ذلك عليه أن يقف ويبحث في الغرفة الرئيسية عن قصيدة كيتي فينش. سمع صوت ميتشيل من بعيد وهو يصطاد الأرانب بالبندقية في البستان، جثا على الأرض والتقط المغلف الذي كان قد ركله أسفل السرير، أمسك المغلف المهترئ بين يديه، ووجد نفسه

يحدق بالعنوان المكتــوب بخط علمي واضح يعود لخبيرة نباتات معتادة على صنع رسومات دقيقة للنباتات وتصنيفها.

«السباحة إلى المنزل.. بقلم: كيتي فينش».

وعندما ســحب الورقة أخيراً مــن الداخل فوجئ بأنه يحس بيــده ترتعد بنفس الطريقة التي قد ترتعــد بها يد والده لو أنه عاش بما فيه الكفاية ليصلح الأباريق وهو طاعن بالســن. أدنى الورقة من عينيه، وأجبر نفســه على قــراءة الكلمات التي تطفو علــى الورقة، ثــم أبعد الورقة عــن عينيه وقرأهــا مرة أخرى، لم توجد زاوية مناســبة تســهل عليه الفهم، فقــد كانت كلماتها مبعثــرة على الورقة، وكانت الكلمات تســبح حــول زوايا الورقة المستطيلة، وفي بعض المواضع كانت تختفي الكلمات تماماً لكنها تعود للظهور في وســط الورقة المسطرة التي تضم رسالة حزينة أخيــرة، ماذا كانت تأمل أن يقول لها بعد أن يقرأها؟ لقد شــعر بالحيرة. توقفت حافلة تبيع الســمك أمــام الفيلا، كان الصوت الذي يخرج من المكبر يصرخ بأنواع الأســماك، كان بعضها كبيراً والآخر صغيراً، وكان بعضها بســتة فرنكات والآخر بثلاثة عشر فرنكاً، لم تسبح أي من تلك الأسماك إلى بيوتها، كلها وقعت في الشــباك أثناء رحلة العودة. ذكّره الشــريط اللاصق على فتحة المغلف بلاصق الجروح الذي يغطي الخدوش، أخذ نفَســاً عميقاً ثم أخرجه ببطء، ســيتعين عليه أن يلقيها بصوت عال معها أثناء الغداء، تفقّد جيب ســترته الداخلــي وتأكد أن حافظته ما زالت موجودة داخله، ثم ركل المغلف إلى تحت السرير وهو يذكّر نفسه مرة أخــرى: كم يكره أيام الثلاثاء، وكم يكــره أيام الأربعاء، وكم يكره أيام الخميس، وكم يكره أيام الجمعة.. إلخ.

ذلك التعبير اللاتيني « .. إلخ» يعني «وأشياء أخرى» أو «وما إلى ذلك» أو «وهلّم جرّاً»، تلك القصيدة «السباحة إلى المنزل»، كانت كلها « .. إلخ»، أحصى سبعاً منها في نصف الصفحة فقط، ما هذه اللغة؟

«تقول أمي إنني الجوهرة الوحيدة في تاجها
لكنني أتعبتها بكل « .. إلخ» التي لدي
لذلك هي تتكئ الآن على عصا»..

إن قبوله للغتها سيعني قبوله بأنها تستولي عليه، وكان مطلوباً منه أن يفهمها، لكنّ ما استطاع أن يفهمه أن كل الـ « .. إلخ» كانت تخفي وراءها شيئاً لا يمكن أن يقال.

كانت كيتي تنتظره على شرفة مقهى كلود، تضايق عندما لاحظ أن جورغين كان يجلس على الطاولة المقابلة، بدا جورغين وكأنه يلعب بخيط ما وهو يمرره بين أصابعه وكأنه يصنع بيت عنكبوت، وقد بدأ يتضح له الآن أن جورغين كان ككلب الحراسة لكيتي فينش، لم يكن مكشراً عن أنيابه في وجه جميع الدخلاء، لكنه كان يحميها، ويتصرف وكأنه مالكها في الوقت ذاته، وكأنه نسي أنها هي الدخيلة. من الواضح أن جورغين كان موجوداً هناك ليحرص على أن أي أحد يقترب منها سيكون ضيفاً مرحّباً به وليس متعدياً. لم يبد أنه استدرّ منها أي نوع من العاطفة، وكأنها تعلم أنه يجب عدم التربيت عليه أو احتضانه، وأن عليه ألا يحس بأي شيء غير كونه حارساً لها.

ابتسمت كيتي، ورحّبت به: «مرحباً جو»، بدت جبهتها وكأنها قد وضعت عليها مكواة حارة، فكيتي صهباء، ولم ترحم الشمس بشرتها الشاحبة.

أومأ لها، وخشخش النقود المعدنية في جيب سترته وهو يهم بالجلوس. قال بنبرة أبوية: «يجب أن تستخدمي سائلاً دهنياً للحماية من الشمس يا كيتي».

كلود - الذي علم أنه يشبه ميك جاغر كلما تقدم به العمر - استثمر جيداً ذلك الشبه الذي حدث بالمصادفة، تبختر باتجاه طاولتهما حاملاً زجاجة كبيرة من المياه المعدنية وكأسين، رأى جو أن ذلك سيشكل له فرصة لتضييع الوقت وتجنب الحديث عن القصيدة التي ركلها لأسفل السرير لتنضم إلى الصراصير وإلى «..إلخ».

التفت إلى كيتي وسألها: «هل طلبت هذا؟».

هزت رأسها، وقطبت جبينها عندما نظرت إلى كلود، سمع جو نفسه وهو يصرخ بوجه النادل المتعض.

«وماذا يعيب ماء الصنبور؟».

حدق به كلود، ولم يكلف نفسه إخفاء كرهه له: «ماء الصنبور مليء بالهرمونات».

«لا، ليس صحيحاً، إن المياه المعبأة خدعة لأخذ المزيد من المال من السياح».

كان بإمكان جو أن يسمع كلود وهو يضحك، والصوت الآخر كان صوت زقزقة الطيور، والهمهمة المتوترة داخل كيتي فينش التي كانت طيراً أو مخلوقاً يشبه الجنيات على أية حال. لم يقو جو على النظر إليها، فركز عينيه على كلود عوضاً عن ذلك.

قل لي يا سيدي، هل دولتك غير قادرة على تنقية المياه لتكون آمنة للشرب؟».

كلود، الذي بدا بلباسه الزاهي كقَوّاد يتباهى بزرّي كمّ القميص

الماسيين الجديدين، فتح غطاء زجاجة الماء البارد، ومشى باتجاه كلابه التي كانت تنام تحت شجرة الكستناء، غمز لجورغين وهو يصب الماء في أواني السيراميك المشروخة الموجودة بالقرب من براثنها، لعقت الكلاب الماء دون اهتمام ثم استراحت، ربّت كلود على رؤوسها، وعاد يتبختر إلى داخل المقهى، وعندما خرج مرة أخرى كان يمسك كأس ماء الصنبور العكر الدافئ، ثم أعطاه للرجل الإنجليزي.

رفع جو الكأس في ظل الشمس ثم صرخ للمشرف الذي كان لا يزال يلعب بالخيط: «إني أفترض أن كأس الماء هذه مصدرها مستنقع آسن»، تناول الماء بسرعة في جرعة واحدة، وأشار إلى الكأس الخالية: «هذا ماء يوجد في المحيطات والغطاء الجليدي للقطبين، ويوجد أيضاً في الغيوم والأنهار وسوف..»».

طقطق كلود أصابعه تحت أنف الشاعر: «شكراً يا سيدي على درس الجغرافيا، لكن ما نريد أن نعرفه هو هل قرأت قصيدة صديقتنا هذه؟»، أشار إلى كيتي: «لأنها قالت لنا إنك شاعر محترم جداً، وإنك عرضت عليها أن تعبر لها عن رأيك في قصيدتها».

اضطر جو أن ينظر إلى كيتي أخيراً، برقت عيناها الرماديتان المخضرّتان بوهج إضافي وسط وجهها الذي أحرقته الشمس، لم يبدُ أن تدخل كلود لمصلحتها قد أحرجها، بل يبدو أنها استمتعت بذلك، وعلى الأرجح أنها كانت ممتنّة له. ظن جو أن هذا اليوم هو أسوأ أيام إجازته حتى الساعة، تقدّمُه في العمر وانشغاله لا يسمحان له بتحمل قرية مليئة بحمقى مبهورين به أكثر مما هو مبهورٌ بنفسه.

قال بهدوء دون أن يوجه كلاماً إلى شخص بعينه: «ذلك حوار خاص بين كاتبين».

احمرت وجنتا كيتي، ونظرت للأسفل ثم سألته: «هل تعتقد أنني كاتبة؟».

قطب جو حاجبيه ورد عليها: «نعم ربما تكونين كذلك».

حدق جو بتوتر في جورغين الذي بدا تائهاً في لغز خيطه، وبدأت الكلاب بلعق المياه المعبأة غالية الثمن التي سكبت في أواني طعامها. عاد كلود إلى داخل المقهى وهو يرقص، وفي الداخل علّق كلود صورة كبيرة لتشارلي تشابلن بوجهه الأبيض يقف في دائرة من الضوء وعصاه بين ساقيه، وأسفل الصورة كُتبت جملة «العصر الحديث»، وبجانبها وضع التمثال المطاطي الجديد لـ «إي.تي»، وحول عنقه شريط من اللبلاب البلاستيكي المزيف. بدأ يقلي بطاطس أمس في سمن البط وهو يطل من النافذة ليرى ماذا كان الشاعر وكيتي كيت يفعلان.

انحنت كيتي إلى الأمام ولمست كتف جو بيدها، كانت حركتها غريبة، وكأنها تتأكد من أنه موجود هناك بالفعل: «لدي جميع كتبك في غرفتي».

بدا وكأن تلك الجملة تحمل بين طياتها تهديداً، وكأنه أصبح يدين لها بشيء لأنها تمتلك كتبه. كانت خصلات من شعرها النحاسي الأشعث تنسدل على كتفيها وكأنها حلم رائع تخيله ليبهج قلبه، كيف احتكرت كل هذا القدر من الجمال؟ فاحت منها رائحة الورود، كانت ناعمة وممشوقة وغضّة؛ إنها مثيرة للاهتمام وجميلة، تحب النباتات ويدها خضراء، وقد انطبقت تلك المقولة عليها فعلياً لأنها صبغت أظافرها بالطلاء الأخضر.

كانـــت معجبة به، وتريد لفـــت انتباهه وإثـــارة فضوله، لكنه لم يضطر لإزعاج نفســـه بقراءة قصيدتها لأنه فهمها قبل أن يفعل ذلك.

عاد كلود، وهو أكثر تواضعاً وتوازناً، ليضع طبقاً من الســـلطة الخضـــراء والبطاطس المقلية أمامهمـــا، تناول جو حبة بطاطس وغمسها في الخردل:

«كنـــت أفكر بعنوان قصيدتك (الســـباحة إلى المنزل)»، كانت درجـــة اللامبالاة في صوته أكثر ممـــا كان يحس بالفعل، لم يقل لها كيف كان يفكر بعنوانها، فقد ذكّره المسبح المستطيل الذي تم نحتـــه من الصخور في حديقة الفيلا بالتابوت، لقد ذكّره بتابوت يطفو وهو مفتوح ومضاء بمصابيع موضوعة تحت الماء، يســـبّها جورغين ويلعنها في المرتين اللتين اضطر فيهما إلى تبديلها منذ وصولهم إلى الفيلا، إن المســـبح ليس سوى حفرة في الأرض، هو قبر مليء بالماء.

مر شـــخصان يحلقان بمظلات شراعية صفراء بين الجبلين. كانت شـــوارع القرية الضيقة المرصوفة بالحجارة مهجورة، وكان المحلقان بالمظلات الشـــراعية يهبطان بقـــرب النهر عوضاً عن قاعدتهما المعتادة على بعد خمسة كيلومترات.

مـــلأت كيتي فمها بالخـــس، بدأت قطة هزيلـــة بالمواء قرب كاحليها وهي ترمي لهـــا بقطع البطاطس تحت الطاولة، انحنت إلى الأمام:

«لقـــد ألم بـــي خطب ما هذا العام، لكنني نســـيت الكثير من الأشـــياء»، عقدت حاجبيها، ولاحـــظ أن الحرق على جبهتها قد بدأ يتورم.

سألها: «ما نوع هذه الأشياء التي نسيتها؟».

«لا أستطيع أن.. أن.. أن أتـ.. أتـ..»، وبدأت تضحك.

لم تكن شاعرة، بل كانت قصيدة، كادت أن تتفطر إلى نصفين من شدة الضحك، ظن أن أشعاره جعلتها تحبه، كان ذلك يفوق طاقته، لم يستطع أن يتحمل، ظلت تحاول أن تتذكر كيف تقول «أتذكر».

إذا لم يستطع مناقشة قصيدتها فما جدواه؟ إن من الأفضل له إذن أن ينتقل للعيش في الريف، وأن يشرف على كشك اليانصيب في مهرجان الكنيسة، أو من الأفضل له أن يكتب قصصاً تدور أحداثها في سنوات أفول الإمبراطورية، وتتحدث عن سيارة «همبر سنايب» بثماني إسطوانات وبسائقها العجوز المخلص لها.

كانت قارئة ذكية تعاني من المشكلات، ولديها ميول انتحارية، لكن ماذا يريد هو من قرّائه أكثر من ذلك؟ هل يريد لقرّائه أن يكونوا أشخاصاً يحرصون على تناول حصصهم اليومية من الخضار، وأن يكون لديهم راتب شهري منتظم ومعاش تقاعدي واشتراك سنوي في النادي الرياضي وبطاقة ولاء لسوقهم المركزي المفضل؟

إن نظرتها والأدرينالين الذي تحفزه كالبقعة وسلسلة « .. إلخ» في قصيدتها كانت كالنجمات المضيئة وكالصوت العالي، وإن لم يكن ذلك مخيفاً بما فيه الكفاية فإن انتباههما لتفاصيل الحياة اليومية كان مخيفاً أكثر، مثل انتباههما لأزهار اللقاح، والأشجار التي تعاني، وغرائز الحيوانات، إلى الصعوبات التي تواجهها عندما تتظاهر بأنها عاقلة جداً، إلى ملاحظتها لطريقة مشيه (لقد أبقى أمر إصابته بالتهاب المفاصل سراً عن عائلته)، إلى

تأثر مزاجها ومشـــاعرها بتلك المواقف. أمس راقبها وهي تحرر بعض النحــل المحتجز في زجاج الفانوس، وكأنها هي المحتجزة، كانـــت تتأثر بمـــا حولها كثيراً، إنهـــا مثل المكتشـــفة، والمغامرة، والكابوس. كل لحظة معها كحالة طوارئ، كلماتها مباشـــرة جداً وصريحة جداً وصادقة جداً.

لم يكن بوســعه ســوى الكذب: «أعتذر لك يا كيتي، لأنني لم أقرأ قصيدتك بعد، كما أن لديّ موعد تســليم نهائياً مع ناشري، ولدي أيضاً أمســية شــعرية في كراكوف بعد ثلاثة أسابيع، كما أنني وعدت نينا أيضاً بأن آخذها لصيد السمك عصر اليوم».

«نعم» عضت شــفتها، وأشــاحت بنظرها، قالــت «نعم» مرة أخــرى، لكن صوتها كان يرتجف، وفجأة اختفى جورغين، وكانت كيتي تعض أصابعها.

«لــم لا تعطيها لجورغين ليقرأها؟»، تمنى لو أنه لم يقل ذلك، فقد بدأ لونها يتغير أمام عينيه، ولم تتورد بشــرتها، بل اشتعلت باللــون الأحمر وكأنها فتيل كهربائي بــدأ ينصهر بعد احتراقه، حدقت إليه بنظرة عداء شــديد، فتســاءل عن الخطأ الفاحش الذي ارتكبه.

«قصيدتي هي حوار معك وليس مع أي شخص آخر».

إن بحثــه عن الحب فيهــا لم يكن يُفتــرض أن يحدث، لكنه كان يحــدث، إنه مســتعد للذهــاب إلى أقاصــي الأرض ليجد الحــب، كان يحــاول ألا يفعل ذلك، لكنه كلما حاول منع نفســه أحس بأن هناك شــيئاً ما يبحث عنه. كان يســتطيع أن يتخيلها على شاطئ بريطاني و«ثرموس» الشاي في حقيبتها، تتهرب من الأمواج الباردة، وتكتب اســمها على الرمال، وتنظر إلى محطات

التوليد النووية في الأفق. إذا كان ذلك المنظر يشـبهها فهو أيضاً يشـبه القصيدة الكارثية، كلماته لامسـتها، ولكنه أدرك أن عليه ألا يلامسـها بأي طريقة أخرى، بشفتيه على سبيل المثال، ذلك سيكون استغلالاً لها، كان يجب أن يقاوم ذلك الشعور حتى نهاية الطريق، لكن إلى أين يؤدي ذلك الطريق؟ لم يعلم، إنه سـيحارب ذلك الشـعور إلى النهاية، لو كان متديناً لجثا على ركبتيه وقام بالصـلاة؛ أيها الأب خذ كل هذا بعيـداً عني، بعيداً جداً، اجعله يختفـي، هو يعلم أن ذلـك كان رجاءً أو أمنيـة أو ترتيلة لوالده البطريرك الملتحي المكتئب، ذلك الظل الذي لاحقه طوال حياته، إلـخ. قال له والده وداعاً، إلخ. قالت له أمه، إلخ. اختبأ في غابة مظلمة في غرب بولندا، إلخ.

وقفـت كيتـي تعبث بحقيبتهـا عندما قال لها بـأن لا تقلق، ترجّاها، أراد أن يدفع عنها ثمن وجبة الغداء، ولكنها أصرت على دفع ثمن ما تناولته، لاحظ أن حقيبتها مسـطحة، خالية، لم يكن فيها شـيء، لكنها كانت تبحث عن القطع المعدنية على أية حال، أصر على دفع النقود، فإن الغداء لم يكلفه شـيئاً يذكر، ترجّاها أن تتـرك له الفاتورة لكي يقوم بالدفع، كانت تصرخ أيضاً، بينما كانت أصابعها تبحث بجنون داخل حقيبتها وتصرخ به: «اخرس، اخـرس، اخرس»، مَـنْ ظنّها؟ وماذا كان يظن بهـا؟ كان متوردة وغاضبـة، وأخيراً وجـدت ضالتها، ورقة بعشـرين فرنكاً قذرة ومطوية وكأنها تحتفظ بها لمناسـبة ما، بسـطتها بحذر ويداها ترتجفان، ثم دسـتها تحت صحن الفنجـان، وركضت بعيداً نحو أحد الشـوارع المرصوفة، سمعها تسعل، ثم سمع صوت جورغين وهو يحدثها، وأدرك أن المشرف كان ينتظرها على الأرجح. كانت

تسأله بالفرنسية لماذا كان ماء المسبح عكراً، وهو كان يسألها عن سبب بكائها. سمع جورغين يقول: انسي انسي انسي، الشمس تسطع يا كيتي كيت. كانت كالأغنية: انسي انسي كيتي كيت انسي انسي كيتي كيت.

بحث جو عن محرمته الحريرية، ودفن وجهه فيها. كان الحرير يستخدم في تصنيع السترات الواقية من الرصاص في بداية استخدامها. كانت كطبقة أخرى من الجلد، وهو في أمسّ الحاجة إليها، ما الذي يفترض أن يفعله؟ ما الذي يفترض عليه فعله بقصيدتها؟ لم يكن طبيبها، لم ترد منه أن يكشف على عينيها بالمصباح كالأطباء، هل يتوجب عليه أن يقول لإيزابيل إن الشابة التي دعتها للإقامة معهم قد هددت بالقيام بشيء ما؟

سيرحل إلى بولندا قريباً، سيلقي قصائده في مكان قديم في كراكوف، ستساعده مرشدته الشخصية ومترجمته أثناء تنقله في عربات الترام، وستترجم له لوائح الطعام، ستأخذه ليرتاح على سفوح جبال تاترا، وستريه المنازل الخشبية المشيدة في أنحاء الغابة، وسوف ترعى النسوة اللائي يغطين رؤوسهن بالأوشحة أوزّاتهنّ، وستدعونه لتذوق المربى والأجبان التي صنعنها، وعندما يغادر البلاد عبر مطار وارسو ويسأله رجال الجمارك إن كان قد أخذ معه بعض الكافيار إلى خارج البلاد، سيجيب: «لا كافيار. أنا آخذ معي ماضيي الأسود اللزج إلى خارج البلاد وهو ملك لنا نحن الاثنان»، وقد جرت الأحداث على النحو التالي: «قال أبي وداعاً، إلخ. قالت أمي وداعاً، إلخ. خبئوني في غابة مظلمة غرب بولندا، إلخ..».

كان شخص ما يربّت على كتفه، وفوجئ عندما رأى كلود يضع كأساً من الجعة الباردة على طاولته، تساءل عن السبب وراء تلك اللفتة الأخوية الطيبة من ميك جاغر الريفي، تجرعها جو دون توقف بجرعة عطشى واحدة، التقط العملة الورقية التي تركتها كيتي تحت صحن الفنجان ودسّها في جيب قميصه قبل أن يلتقطها كلود ليدفعها لمصفف شعره، سيجد طريقة ما ليعيد لها المال، سوف تغادر هي بعد يومين، حمداً لله، بعدها سينتهي كل شيء، وبمجرد إحساسه بالسعادة لأنه أصبح وحيداً مرة أخرى لمح، لسوء حظه، ابنته تمشي نحو أسفل التلة متجهة إلى المقهى.

كانت نينا تمسك بشبكة صيد سمك ودلواً، تبّاً! بدأ يندب حظه، لقد اقتربت منه: «ابنتي تضع طلاء الأهداب والجفون استعداداً لرحلة صيد السمك، كما أنها ترتدي الأقراط أيضاً، حلقات ذهبية كبيرة من المؤكد أنها ستعلق بأغصان الأشجار». سيضطر الآن إلى أن يمشي معها إلى النهر في حر الظهيرة كما وعدها، سيمشي كيلومترين.

لا يبدو أن أحداً يعي أنه يبلغ السابعة والخمسين من العمر، سيضطر إلى أن يزحف حتى يصل إلى جانب النهر محاولاً ألا ينزلق على الصخور. لوح لابنته بغير مبالاة، ولوحت له ابنته بالشبكة، وعندما جلست أخيراً على الكرسي المقابل له أخذ يدها وضغط عليها: «مبروك، قالت لي أمك إنك كبرت».

ردت عليه نينا: «اخرس»، وقلبت عينها ثم ركزت نظرها على الدلو.

«حسناً سأفعل، لم لا نلغي رحلة الصيد ونجلس هنا ونتناول الجعة معاً؟».

«مستحيل».

تتحنـــح جو قليلاً، ثم قال: «هل لديك ما يلزمك من الأغراض التي تحتاج إليها الفتيات اللاتي بدأن..»».

«اخرس».

«حسناً سأفعل».

«أين كيتي؟».

«لقد.. لقد.. لا أعلم أين ذهبت».

حدّقت نينا بشـــعر والدها، لقد صففه على غير العادة، كان عليها أن تعترف أنه كان وســـيماً رغم أنـــه كان منفّراً، لقد بذل جهداً ليبدو حسن المظهر أمام كيتي رغم إنكاره ذلك.

«هـــل أعجبتك قصيدتها؟»، مرة أخرى قام بفعل أكثر شـــيء يجيده، وهو الكذب.

«لم أقرأها بعد».

لكمت نينا ذراعه بكل ما أوتيت من قوة.

«كانت متوترة جداً لأنك ستقرؤها، لدرجة أنها كادت تصطدم بالســـيارة، وأنا كنت معها، فقدت ســـيطرتها على الســـيارة في الطريق الجبلي، لقد اســـتجمعت كامل شجاعتها لتأتي لرؤيتك، كانت ترتجف».

«يا إلهي»، نفخ جو وجنتيه.

صرخت ابنته به: «لماذا يا إلهي؟ اعتقدت أنك لا تؤمن بالإله»، ثم زمجرت وأدارت ظهرها له.

ضرب يده على الطاولة فاهتزت من مكانها.

«لا تركبي الســـيارة مع كيتي فينش مرة أخرى، لا تركبي معها أبداً، أفهمت؟».

اعتقــدت نينا أنها فهمته، لكنها لم تعلم ما الذي وافقت على فهمه، هل كانت كيتي ســـائقة سيئة أو ماذا؟ بدا والدها غاضباً جداً.

«لا أطيــق المكتئبــين، إن الاكتئاب كالوظيفة، يســعى المكتئبون لإتقانهـــا، إن اكتئابي بحالة جيــدة اليوم، رائع! اليــوم أعاني من عارض غامض آخر، وغداً ســأعاني من عارض آخر، إن المكتئبين مليئــون بالكره والمرارة، وعندما لا يمرون بنوبات ذعر فهم يكتبون الشــعر، ماذا يريدون أن تفعــل قصائدهم؟ إن اكتئابهم هو أهم ما يملكون، أشعارهم كلها تهديد ووعيد.. دائماً ما يهددون ويتوعدون، فهم لا يملكون إحساساً أقوى وأنشط من ألمهم، فالاكتئاب هو أداة أخرى بالنســبة لهم، لا يمنحون الناس شــيئاً غيــر اكتئابهم، فهو أداة أخرى بالنســبة لهم، كالكهرباء والماء والغاز والديمقراطية، لا يقدرون على العيش دونها، يا إلهي إنني أشعر بالظمأ، أين كلود؟».

أطل كلود برأسه من الباب، حاول أن يكتم ضحكته، لكنه نظر إلى جو باحترام أكثر من المعتاد، في الواقع فكر في أن يطلب منه بشكل سرّي أن يجد طريقة لتسديد ما يدين به ميتشيل للمقهى:

«رجاءً كلود أحضر لي الماء، أي نوع من الماء، لا أمانع بقنينة ماء، وسأشرب كأساً أخرى من الجعة، كأساً كبيرة، ألا تقدمون كؤوساً كبيرة في هذه البلاد؟».

أومــأ كلود برأســه، واختفى داخل المقهى، حيــث أدار جهاز التلفاز ليتابع مباراة كرة قدم، التقطت نينا شبكة الصيد ولوّحت بها في وجه والدها.

«إن الهدف من هذه الظهيرة هو أن نذهب لصيد السمك، لذا هيّا قف وابدأ بالمشي لأنك تكاد تقتلني من الملل القذر».

كانت تلك أحدث كلماتها البذيئة، واستمتعت وهي تقولها.

دمـــدم بصوت مثير للشـــفقة: «أعلم أنــــي لا أقتلك مللاً»، ثم تحشرج صوته.

لـــم تجرؤ نينا على قولها مرة أخــــرى، لأنه في كل مرة يخرج معها حاملَين الشـــبكة والدلو كانت دائماً تستثيرها الأهوال التي يلتقطها من قاع الماء.

أحضر كلود الجعة «بكأس كبير»، وقال لنينا إنه لن يتلقى أي أوامر من والدها لأنه كان يتابع المباراة نصف النهائية بين فريقي السويد والبرازيل.

«حسناً» قالها جو، ثم رمى ببعض النقود على الطاولة، وعندما همس كلود بشـــيء في أذنه، وضع كومة من الأوراق النقدية في يده، وأخبره بأنه سيدفع ثمن أي شيء يطلبه ميتشيل من المقهى شـــرط ألا يعلـــم بذلك، يجب ألا يخبر الرجـــل البدين بأن كمية المعجنات الكبيرة التي يتناولها ســـيتم دفع ثمنها بأموال الأتعاب الأدبية للشاعر الغني الأحمق.

ربت كلود بإصبعه على أنفه، كانت الخطة آمنة لديه، اختلس نظـــرة إلى نينا، ثم قطع غصناً من نبتة «الجهنمية» ذات الأزهار البنفسجية التي تنمو على الحائط، وعقد الأزهار ببعضها لتشكل سواراً، وقدّمه لها وهو ينحني لها قليلاً: «لابنة الشاعر الجميلة».

وجدت نينا نفســـها تمـــد ذراعها بجرأة لكـــي يضع البتلات البنفسجية حول معصمها كالأصفاد، كانت نبضات قلبها تتسارع بجنون عندما لامست أطراف أصابعه معصمها.

«أعطينـــي الشـــبكة يا نينا»، ثـــم مد والدها يده: «أســـتطيع اســـتخدامها لأفقأ عيني، في الواقع أريد أن أتابع مباريات كأس

العالم مع كلود، يجب أن تتعلمي أن تعاملي والدك بلطف أكثر».

عضت شفتها بطريقة أملِت أن تكون جذابة، وأجبرت نفسها على النظر إلى كلود الذي هز كتفه بلا حول ولا قوة، كلاهما كان يعلم أن كلود يفضل أن يراقبها هي.

وأثناء مرورهما بجانب الكنيسة للوصول إلى الشارع الذي علم جو أنه يؤدي إلى البوابة المؤدية إلى الحقل الذي تخور فيه الثيران، والذي يؤدي بدوره إلى طريق يؤدي إلى الجسر الذي يؤدي إلى النهر، أحس بيد ابنته تنزلق في جيب بنطاله.

قالت بتشجع: «كدنا نصل».

رد عليها: «اخرسي».

سألته: «أعتقد أنك تصاب بالاكتئاب أحياناً، أليس ذلك صحيحاً يا أبي؟».

تعثر جو بحجر لم يتم رصفه جيداً.

«كما قلتِ، كدنا نصل».

الصورة الفوتوغرافية

كانت مجموعة السـياح اليابانيين تشـعر بالبهجة، فقد كان الابتسـام يعلو وجوههم لمـدة طويلة جداً . جلسـت إيزابيل في ظل شـجرة زيتـون بانتظار لورا، ورجحت أنهم كانوا يبتسـمون لمدة عشـرين دقيقـة تقريباً، يلتقطـون صـوراً لبعضهم خارج المبنى الوردي الباهت لمتحف ماتيس، وبدأت ابتسـاماتهم تؤلمهم وتوجعهم.

وكانت الحديقة مكتظة بالعائلات التي خرجت في نزهة تحت أشـجار الزيتون، وهناك أربعة رجال مسـنّين يلعبون لعبة رمي الكور التقليدية فـي الظل، ثم أوقفوا اللعب ليتحدثوا عن موجة الحـر التي كانت تدمر بسـاتين الكروم في فرنسـا . كانت لورا تلوح لإيزابيل، ولم تدرك أنها سـارت إلى داخل منطقة الصورة الفوتوغرافية، حيث السـياح اليابانيون السبعة يقفون وأذرعهم تحيط ببعضهم والابتسامة لم تفارقهم بعد، ولورا أمامهم ويدها مرتفعة للأعلى عندما التقطت الكاميرا الصورة.

عندما كانت طالبة مدرسـة فـي كارديف كانت إيزابيل دائماً أول من ترفع يدها للإجابة عن الأسـئلة في الصف، كانت تعرف الأجوبة قبل أن تعرفها بقية الفتيات اللاتي كن يرتدين سـترات خضراء مزينة بشعار المدرسة مثلها، كان الشعار يقول «دع العلم

يخدم العالم». والآن فكرت في أن تغير الشعار إلى شيء يحذر الفتيات من أن العلم قد لا يخدمهن بالضرورة، وقد لا يسعدهن أيضاً، عوضاً عن ذلك توجد فرصة كبيرة في أن العلم سيجعلهن يبصرن أشياء قد لا يريدن أن يبصرنها. يجب على الشعار الجديد أن يأخذ في الاعتبار فكرة أن الحياة قد تصبح صعبة مع العلم أحياناً، وفور ما تذوق الفتيات الصغيرات في كارديف طعم العلم فلن يستطعن السيطرة على ذلك المارد.

استأنف الرجال لعبة رمي الكور، كانت بعض الأصوات ترتفع من مذياع قريب تناقش إضراب المراقبين الجويين، وقوارير القهوة تُفتح تحت الأشجار، ويسقط الأطفال من دراجاتهم، والعائلات تخرج الشطائر والفاكهة التي أحضرتها معها. استطاعت إيزابيل أن ترى من مكانها صف الفنادق البيضاء والزرقاء «بيل إيبوك» الجميلة التي بنيت على الهضبة، وأدركت أنه بالقرب من ذلك المكان توجد المقبرة التي دفن فيها ماتيس. كانت لورا تمسك بزجاجة نبيذ أحمر بيدها اليسرى، نادتها إيزابيل، لكن لورا كانت قد لمحتها قبل أن تفعل ذلك، كانت تمشي بسرعة وبمهارة وتركيز، إن لورا لديها الكثير لتقوله عن دعوتها كيتي فينش للإقامة معهم، لكن إن فعلت ذلك فستصر إيزابيل على أن يدفعوا حصتهم من إيجار الفيلا طوال الصيف، يجب أن تحجز لورا وميتشيل لنفسيهما غرفة في فندق ريفي قريب قرأت عنه في دليل سياحي، ربما هو في تلك العزبة أو في البيت الكبير المبني من الصلصال على طراز إقليم بروفينسال الذي يقدم النبيذ الفاخر وسمك القاروس المطبوخ داخل قشرة من الملح، سيكون ذلك المكان مثالياً لميتشيل الذي كان يأمل بتناول

مـــا لذ وطاب من الطعام هذا الصيف، لكنه وجد نفســـه مجبراً علـــى مشـــاركة إجازته الصيفية مع فتاة غريبـــة يبدو أنها تجبر نفســـها على الموت جوعاً. إن لورا وميتشـــيل يفضلان أن يطغى النظـــام والترتيـــب على حياتهمـــا، فميتشـــيل كان يضع خططاً لمتجرهما في إيوســـتون للســـنوات الخمس القادمة، وكان يضع الرسوم البيانية لكي تبين الأعمال التي يجب القيام بها، والمنطق وراء اتخـــاذ بعض القرارات دون غيرهـــا، والنتائج المطلوبة. لقد أحبت تفاؤلهما بالمســـتقبل وإيمانهما بأن المستقبل سيأتي بنتائج يمكن تنظيمها لتخرج بالشكل المناسب.

كانت لورا تبتسم، لكنها لم تبدُ سعيدة، جلست بجانب إيزابيل، وخلعـــت خفّيها، ثم اقتلعت كومة من العشـــب الجاف بأصابعها، وقالـــت لصديقتها بأن المتجر في إيوســـتون على وشـــك إغلاق أبوابه، فلم يعد بإمكانها هي وميتشـــيل كســـب ما يكفي من المال لســـد رمقهما، لقد تمكنا بالكاد من دفع ثمن رهن العقار، وقدما إلى فرنســـا ومعهما خمس بطاقات ائتمانيـــة والقليل من المال، ولم يعد باســـتطاعتهما شـــراء الوقود للســـيارة المرسيدس التي اســـتأجرها ميتشـــيل برعونة من المطار، في الواقع لقد تراكمت الديون على ميتشـــيل، ولم تعلم هي عنهـــا إلا منذ فترة قصيرة، لقد كان يدين بمبالغ كبيرة من المال للكثيرين، وعلى مدى شـــهور عدة كان يقول إن الأمور ستتحســـن، لكنها لم تتحســـن، وسوف تتم تصفية المتجر، وعندما يعودان إلى لندن ســـيتعين عليهما بيع منزلهما.

اقتريـــت إيزابيل أكثر من لورا، وطوقتها بذراعيها، كانت لورا طويلـــة جداً لدرجة أنه كان يصعب أحيانـــاً التصديق أنها فعلياً

أعلى من الأشــياء التي تضايق الناس العاديين، من الواضح أنها كانت منزعجة لأن كتفيها كانتا مهدلتين أيضاً. لم تقم صديقتها أبداً بالانحناء أو خفض هامتها لتتأقلم مع الناس العاديين، لكنها الآن بدت منهارة.

«لنفتح زجاجة النبيذ»، نسيت لورا أن تحضر فتاحة السدادات الفلينية، لذا اســتخدمتا طرف مشــط إيزابيل لفتحها، ففرزتا طرفه البلاســتيكي داخل الســدادة، ووجدتا نفسيهما تشربان مباشــرة من الزجاجة، وتتبادلانها بينهما وكأنهما مراهقتان في أول إجازة لهما بعيداً عــن عائلتيهما. أخبرت إيزابيل لورا كيف أمضــت الصباح وهي تبحث في المتاجر عن محارم صحية لنينا، ولكنها لــم تعرف كيف تقول الكلمة بالفرنســية إلى أن أخبرها الرجل في الصيدلية كيف تقولها، ثم لف لها المحارم بكيس ورقي بني ووضعه في كيس بلاستيكي ثم في كيس بلاستيكي آخر وكأنه كان يعتقد أن الدم يسيل منها بالفعل، ثم غيّرت الموضوع، أرادت أن تعرف إن كانت لورا تملك حســاباً شخصياً في البنك، هزت لورا رأسها، كانت تملك حساباً مشتركاً مع ميتشيل منذ أن أسسا متجرهما معاً، ثم غيرت لورا الموضوع، وسألت إيزابيل إذا كانت تعتقد أن كيتي فينش كانت تعاني قليلاً من.. بحثت عن الكلمة... «المسّ»؟ علقت الكلمة في فمها، وتمنت لو كان بإمكانها ترجمتها إلى لغة أخرى لو كانت تعرف ذلك، لأن الكلمات الوحيدة المخزنة في عقلها كانت من أيام ملعب المدرسة في صباها، وهي حصيلة لغويــة بدأت عشــوائياً بكلمة «مخبولة» و«مجنونــة» و«معتوهة» و«بلهاء» و«رعناء» و«متخلفة» و«معوّقة ذهنياً»، ورقصت الكلمات على الأبجدية لتنتهي بـ«مغفلة»، ثم بدأت لورا تخبرها كم أقلقها

وصــول كيتي إلى الفيلا، فعندما اســتقلت الســيارة وهي تغادر الفيلا للتوجــه إلى متحف ماتيس رأت كيتــي ترتب ذيول ثلاثة أرانب قتلها ميتشــيل في البستان لتضعها في مزهرية كالأزهار، فالشــيء المهم هنا هو أنه من الواضح أنها قطعت ذيول الأرانب بنفســها، ومن المؤكد أنها استخدمت ســكيناً، ومن المؤكد أيضاً أنها اســتخدمت سكين تقطيع اللحم، لم ترد عليها إيزابيل لأنها كانت تكتب شــيكاً للورا، وعندما التفتــت إليها لورا لاحظت أن المبلغ المكتوب كان كبيراً، وأن الشــيك كان موقعاً باســم إيزابيل قبل الزواج.

إيزابيل رايز جونز، عندما كانتا طالبتين تتعرفان على بعضهما في الحانة كانت إيزابيل دائماً تلفظ اســم مدينتها بلكنة ويلزية، فكانت تقــول كيرديث عوضاً عن كارديف، كانــت لكنتها ويلزية لكنها اختفت مع مرور الوقت، وخلال الســنة الثانية لدراستهما تحدثــت إيزابيل بلكنة إنجليزية، لم تكــن إنجليزية تماماً، لكنها أصبحــت كذلك حين أصبحــت تظهر على التلفــاز أثناء عملها كمراسلة في أفريقيا، فلورا التي درست اللغات الأفريقية حاولت أن تخفي لكنتها الإنجليزية عندما تكلمت اللغة السواحيلية، كانت المســألة معقدة، ورغبت أن تفكر فيها لوقت أطول، لكن إيزابيل كانت قد وضعت الغطاء على رأس القلم، وتستعد للحديث، كانت تقول شيئاً، وبدت لكنتها ويلزية، لم تسمع لورا ما قالته صديقتها في البداية، ولكنها انتبهت في الوقت المناســب لتعرف أن عاملة التنظيف القادمة من شــمال أفريقيا، والتي كانت تنظف الفيلا مقابل أجر زهيد - مضربة عن العمل. كانت المرأة ترتدي وشاحاً على رأسها عندما أصلخت قوابس الكهرباء الأوروبية لجورغين،

الذي ابتهج عندما اكتشف أنها أمهر منه في تصليح التوصيلات والأجهزة الكهربائية، رأتها لورا تحدق في الأسلاك ثم إلى خارج النافذة باتجاه النور الفضي الذي شُفي به ماتيس عندما أصيب بمرض السل. لقد كانت تفكر في تلك المرأة لسبب ما، وفور ما فكرت في سبب انشغالها بالتفكير فيها تذكرت ما قالته إيزابيل عندما كانت تكتب الشيك. كانت تقول شيئاً عن ضرورة أن تفتح لورا لنفسها حساباً بنكياً منفصلاً عن الحساب الذي تشترك فيه مع ميتشيل، بدأت تضحك، وذكّرت إيزابيل بأن اسمها قبل الزواج هو لورا كيبل.

الشيء

«ينبغي ألا تغطي نفسك بهذا القدر من دهان الحماية من الشمس ميتشيل».

من الواضح أن كيتي فينش كانت منزعجة من شيء ما، لقد خلعت كامل ملابسها، ووقفت عارية على حافة المسبح، وكأنه لا يوجد أحد هناك غيرها.

«إن هذا الدهان يغير التوازن الكيميائي للماء».

وضع ميتشيل يده على بطنه ودمدم.

«الماء عكر بالفعل»، بدت كيتي غاضبة وهي تقول ذلك، ركضت حول جوانب المسبح، وحدقت بداخله من كل الزوايا.

«لقد أخطأ جورغين في المعالجة الكيميائية لماء المسبح»، ثم دقت بقدمها العارية على حجارة الرصف الساخنة.

«إن الكيمياء هي التي تحافظ على توازن الماء في المسبح، لقد أضاف أقراص الكلورين إلى مضخات مرشحات المسبح، والآن أصبح الكلورين أكثر تركيزاً في الجانب العميق للمسبح».

مرة أخرى تكفل ميتشيل بمهمة إخبارها بأن تذهب للجحيم، لماذا لا تعد لنفسها شطيرة جبن وتضل طريقها في الغابة؟ في الواقع كان مستعداً أن يوصلها إذا تمكنت من تدبير الوقود للمرسيدس.

«ينتابك الخوف سريعاً يا ميتشيل».

قفزت نحوه بوثبتين طويلتين وكأنها تحاول أن تصبح غزالاً أو حيوان الأيل، ثم تستهزئ به لكي يصطادها، كانت أضلاعها تبرز من جلدها مثل أسلاك الفخ الذي اشتراه ميتشيل للفأر.

«إنه لشيء طيب أن لورا طويلة جداً، أليس كذلك؟ تستطيع أن تنظر من فوق رأسك عندما تطلق النار على الحيوانات، ولن تضطر أبداً إلى النظر نحو الأرض حيث تسقط جريحة».

قفزت كيتي في الماء العكر وهي تسد أنفها، وقف ميتشيل بسرعة، وأحس بالدوار فوراً، دائماً ما تشعره الشمس بالمرض. في العام القادم سيقترح أن يستأجرا كوخاً على طرف أحد الوديان الخلوية المتجمدة في النرويج، في أبعد مكان ممكن عن عائلة جاكوبس، سيصطاد عجول البحر، ويضرب نفسه بأغصان «البتولا» في حمامات الساونا، ثم يركض خارجاً في الثلج ويصرخ، بينما تتدرب لورا على التحدث بلغة يوروبا، وتشتاق لزيارة أفريقيا.

«الماء سيئ جداً».

ما الذي دهاها؟ أمكن لميتشيل وهو يسوي المظلة فوق رأسه الوردي الأصلع أن يرى جو وهو يعرج باتجاه البوابة الصغيرة التي تؤدي إلى الحديقة الخلفية، تبعته نينا عبر أشجار السرو حاملة دلواً أحمر وشبكة.

«مرحباً جو».

قفزت كيتي إلى خارج المسبح، وبدأت تهز رأسها ليخرج الماء من تموجات شعرها النحاسي، أومأ لها ميتشيل وهو يحس بالراحة، لأنه رغم لقائهما غير المبهج سابقاً اليوم، فقد بدا من

صوتها أنها سعيدة بالفعل لرؤيته، ثم أشار إلى الدلو الذي كانت تحمله نينا بصعوبة إلى طرف المسبح.

«تعالي وانظري إلى ما وجدنا في النهر».

تجمعوا حول الدلو الذي كان نصف ممتلئ بالماء الموحل، هناك كائن هلامي رمادي بخط أحمر على طول عموده الفقري متعلق بكومة طحالب، كان بحجم إبهام ميتشيل، ويبدو أن شيئاً ما فيه كان ينبض لأن طبقة الماء من فوقه كانت ترتعد، وكان يتكور على نفسه من حين لآخر ثم يتمدد ببطء مرة أخرى.

«ما هذا؟»، لم يصدق ميتشيل أنهم تجشموا عناء حمل هذا المخلوق البشع عبر الحقول إلى الفيلا.

قال جو بسخرية: «إنه شيء».

تأفف ميتشيل: «بشع»، وابتعد عنهم.

«أبي دائماً يجد الأشياء التي تثير الاشمئزاز».

حدقت نينا فوق كتف كيتي، وحرصت على ألا تنظر إلى صدرها الذي كان الآن يلامس الدلو وهي تنظر إلى داخله، لم ترغب بالنظر إلى كيتي فينش العارية ووالدها يقف قريباً منها أيضاً. تمكنت نينا من عدّ العظام المصطفة كالخرز على طول عمودها الفقري، كانت كيتي تتضور جوعاً، فغرفتها مليئة بالطعام العفن الذي خبأته تحت الوسادات، بينما كانت نينا تفضل أن تحدق في بقع العلكة الملتصقة برصيف لندن أكثر من النظر إلى والدها وكيتي فينش.

مدت كيتي يدها لتتناول المنشفة، لكن يدها كانت خرقاء، كلما التقطتها تسقط منها مرة أخرى، حتى التقطها جو أخيراً وساعدها في لفها حول خصرها.

حدقت كيتي في الدلـو، وســألته: «ما الذي تظـنـه يا جــو؟ ما هذا الشيء؟».

أعلن جو: «إنه الحيوان الزاحف الغريب، أفضل شيء وجدته حتى الآن».

اعتقدت نينا أنه قد يكون «أم أربعة وأربعين»، كان لديه المئات من الأرجل الصغيرة التي تتحرك بجنون في الماء محاولة أن تجد شيئاً تستمسك به.

«ما الذي تبحث عنه بالضبط عندما تذهب لصيد الســمك»، خفضت كيتي صوتها وكأن المخلوق سيسمعها: «هل تجد الأشياء التي تبحث عنها؟».

سألها ميتشيل: «عمَّ تتكلمين؟»، وبدا صوته كأصوات المعلمين عندما يتضايقون من أحد الطلبة.

«لا تحدثهــا هكذا». كانت ذراعا جو الآن تطبقان على خصر كيتي وهو يثبت المنشفة في مكانها، وكأنها مسألة حياة أو موت.

«هي تســألني لــمَ لا أجد أســماكاً فضية وقواقــع جميلة؟ والجواب هو أنها موجودة هناك على أية حال».

وبينما هــو يتحدث كان يداعب خصلات كيتــي المبللة. رأت نينــا والدتها ولورا تعبران البوابة البيضاء، ثم رأت والدها يترك المنشــفة ووجنتا كيتي تحمران، حدقت نينا ببؤس إلى أشــجار الســرو متظاهرة بأنهــا تبحث عن قنفذ، كانــت تعلم أنه يتخذ الحديقة مســكناً له. مشى جو إلى الكرسي البلاستيكي الطويل وتمــدد عليه، نظر إلى زوجته التي ذهبت لتنظر في الدلو، كانت هناك بعض أوراق الأشجار عالقة في شعرها وبعض بقع العشب على فخذيها، لم تبعد نفسها عنه فقط، بل يبدو أنها كانت تعيش

في عالم آخر، لاحظ حيوية جديدة في طريقة وقوفها بجانب الدلو، وكأن إصرارها على عدم محبته قد جدد طاقتها.

ظل ميتشيل يحدق في المخلوق الذي يتسلق جوانب الدلو الأحمر، كان مموهاً جيداً بسبب الخطوط الحمراء الموجودة على عموده الفقري.

«ماذا ستفعلين باليرقانة؟».

نظر الجميع إلى جو.

قال: «حسناً، إن (مخلوقي) يخيفكم جميعاً، لنضعه على ورقة نبات في الحديقة».

اشمأزت لورا: «لا، سيجد طريقة ويعود إلى هنا».

أضاف ميتشيل بجدية: «أو سيزحف عبر الأنابيب وسينتهي به المطاف إلى الماء».

ارتعدت لورا ثم صرخت: «إنه يحاول الخروج، كاد يخرج»، ثم ركضت نحو الدلو، ورمت بمنشفة فوقه.

«افعل شيئاً لإيقافه يا جو».

عرج جو حتى وصل إلى الدلو، ورفع المنشفة، ودفع المخلوق بإبهامه إلى قاع الدلو مرة أخرى.

ثم تثاءب: «إنه بالفعل صغير جداً، إنه شيء هلامي صغير غريب الهيئة».

كانت قطعة من طحالب النهر قد علقت بحاجبه، ثم عم الهدوء مرة أخرى، حتى صوت الدعسوقة الحاد الذي دائماً ما يملأ الأجواء قبل حلول المساء قد اختفى، وعندما فتح جو عينيه وجد أن الجمع قد اختفى إلى داخل الفيلا ما عدا لورا، كانت لورا ترتجف، لكن صوتها كان جاداً.

«انظر، أعلم أن إيزابيل قد دعت كيتي للإقامة معنا»، توقفت، ثم بدأت تتكلم مرة أخرى: «لكن أنت لســت مضطراً لفعل ذلك، أعني، هل أنت كذلك؟ هل أنت مضطر؟ هل يتوجب عليك ذلك؟ هل أنت مضطر لأن تستمر بفعل ذلك؟».

شد جو قبضته ويده داخل جيبه.

«فعل ماذا؟».

الأربعاء
كهرباء الجسد

كان كلود وجورغين يدخنان مخدر الحشيش الذي اشتراه جورغين من عازف الأكورديون على الشاطئ في نيس. كان يشتريه في العادة من السائق الذي يقوم بتوصيل عمال النظافة المهاجرين إلى الفيلات التي يستأجرها السياح، لكنهم كانوا مضربين عن العمل، إضافة إلى ذلك حذرت نشرة الأحوال الجوية ليلة أمس من عاصفة، وأمضى جميع سكان القرية ليلتهم في الاستعداد لها، كانت ريتا دوايتر تمتلك كوخ جورغين، لكن لم يتم تجديده حتى الآن، وأراد جورغين أن يبقيه كذلك، أحيانا كان يلقي بأشياء ثقيلة على الجدران لكي يجعلها غير قابلة للتصليح، ويبقيها على حالتها كما هي، وكأن الكوخ هو الطفل القبيح المختل في عائلة ممتلكات ريتا دوايتر.

أما الآن فقد كان منكباً على هاتف كلود المحمول، كان كلود قد سجل صوت بقرة تخور، ولم يكن يعلم لم فعل ذلك، لكنه أحس برغبة لفعل ذلك الشيء. مشى إلى الحقل وقرّب هاتفه قدر الإمكان من البقرة، عندما ضغط جورغين على زر التشغيل خرج صوت خوار البقرة، لقد جعلت التكنولوجيا صوت البقرة يبدو مألوفاً لكنه غريب بشكل مزعج في الوقت ذاته،

كانا يضحكان بشكل هستيري كلما خارت البقرة، لأن البقرة داست على الإصبع الكبير لقدم كلود وتشوّه ظفره بسبب ذلك.

طلبت السيدة دوايتر من جورغين أن ينتظر منها اتصالاً، ولم يمانع في ذلك، لأن الانتظار غيّر نمط روتينه الذي كان يقتصر عادة على تلقي الاتصالات من أجل تغيير مصباحٍ محترق في أحد المنازل في منطقة بروفانس التي لن يتمكن يوماً من شراء أحد بيوتها. كانت كومة من نسخ لوحات بيكاسو التي اشتراها بالجملة من سوق الأغراض المستعملة مسنودة على الحائط، فقد فضل عليها لعبة «إي. تي» البلاستيكية التي أحضرها لكلود. أمرته ريتا دوايتر أن يضع كل نسخة من لوحات بيكاسو في إطار ويعلّقها في جميع المساحات الخالية في الفيلات الثلاث التي كانت تمتلكها، لكنه لم يزعج نفسه بفعل ذلك لأن سماع صوت خوار البقرة من هاتف كلود المحمول كان أكثر متعة.

عندما بدأ جورغين يطوي لفافة حشيش أخرى سمع صوت هاتف يدق، أشار كلود إلى الهاتف الملقى على الأرض، لوى جورغين أنفه بإبهامه وسبابته ثم التقط السماعة.

اضطر كلود لأن يضع يده على فمه ليمنع نفسه من الضحك بصوت عال كما كان يود، لم يكن جورغين يرغب في أن يصبح مشرفاً، كانت السيدة دوايتر دائماً تسأله بماذا كان يفكر، لكنه لم يكن يخبر أحداً بذلك غير كلود، كل ما كان يدور في ذهن جورغين دائماً هو شيء واحد فقط؛ كيتي فينش. وإذا ما تم الإلحاح عليه فسيضيف بأنه دائماً يفكر بالجنس والمخدرات والبوذية كوسيلة لتحقيق السلام الداخلي في الحياة، دون لحم ولا تشريح للحيوانات، ودون كيتي فينش، دون كحول، دون كيتي

فينش، صفاء الجسد والروح، العلاجات العشبية، العزف على الغيتار، كيتي فينـــش، وأن يصبح ما وصفه جاك كيرواك على أنه «فتى الطبيعة القديس». سمع صديقه يخبر السيدة دوايتر بـــأن الأجواء كانـــت هادئة في الفيلا هذا العام، وأن الشـــاعر الإنجليزي المشـــهور وعائلته كانوا مســـتمتعين بإجازتهم، وفي الواقع لقد فاجأهم ضيف في الفيلا، حيث كانت الآنسة فينش تمكث معهم في الغرفـــة الإضافية، وأنها كانت تفتنهم جميعاً، وأن توازنهـــا النفســـي هذا العام كان جيداً، وأنها كتبت شـــيئاً لتريه للشاعر.

فتـــح كلود أزرار بنطالـــه الجينز، وتركه يســـقط إلى ركبتيه، اضطر جورغين أن يبعد السماعة عن أذنه، ولم يتمالك نفسه من شـــدة الضحك، وأخذ يشير إلى كلود بحركات بذيئة بيده، بينما بدأ كلود بممارســـة التمارين الرياضية على الأرض وهو مرتدياً سرواله الداخلي من تصميم «كالفين كلاين»، وكز جورغين ركبته باللفافة، واســـتمر بالحديث مع ريتا دوايتر التي كانت تهاتفه من منفاها في إســـبانيا، حيث لن تضطر لدفع الضرائب، سيتوجب عليه أن يناديها بالسنيورة قريباً.

قـــال لها: نعـــم كتيب معلومـــات الفيلا يحتـــوي على أحدث المعلومات، ونعم مياه المسبح مثالية، ونعم عمال التنظيف يقومون بعمل جيد، ونعم لقد اســـتبدل زجاج النافذة المكســـور، ونعم إنه كان علـــى ما يـــرام، ونعم كانت موجة الحر تجـــيء وتروح، ونعم ســـيتعرضون لعواصـــف رعدية، ونعـــم الجميع كانـــوا على علم بأحوال الطقس، ونعم ســـيعمل اللازم لضمـــان حماية مصاريع النوافذ.

استطاع كلود أن يسمع صوت ريتا دوايتر وهو يختفي بالتدريج مـــن ســـماعة الهاتف خلف غمامة الحشـــيش. القريـــة بأكملها تضحك عند ذكر اســـم المحللة النفسية ومطورة العقارات الفنية التي دفعت لجورغين بســـخاء رغم أنـــه يفتقد للمهارات اللازمة التـــي تتطلبها وظيفة المشـــرف. أحبوا أن يمزحـــوا فيما بينهم، وأن يتخيلوا أنها شـــيدت مهبطاً للمروحيات لكي تهبط طائرات رجال الأعمال خارج غرفة استشـــاراتها غرب لندن، وأنهم كانوا يجلســـون على كراسٍ من صنعِ المصممين المشـــهورين، بينما كان طيارو المروحيات، الذين غالباً ما يكونون مدمني كحول ســـابقين تم فصلهـــم من شـــركات الطيران التجارية، يدخنون الســـجائر المعفاة من الضرائب في الخارج تحت المطر.

كان كلود يفكر بنشـــر إشاعة يزعم فيها أن أحد أثرى زبائنها علقت يده في إحدى شفرات المروحيات، في الوقت الذي علمت فيه بالســـر وراء حبـــه للتنكر بالملابس العســـكرية النازية وجلد العاهرات، لقـــد اضطروا لأن يبتروا ذراعـــه، مما جعله يتوقف عن رؤيتها، مما كان يعني أنه لن يعود بإمكانها شراء كوخ ساعي البريد.

عندما حضرت الســـيدة دوايتر لتتفقد ممتلكاتها، ولحســـن حـــظ جورغين أن ذلك لم يكن يحدث كثيـــراً، كانت دائماً تدعو كلود الذي يشـــبه ميك جاغر إلى العشـــاء، وفي آخر مرة تناول وجبة العشـــاء معها غرســـت قطعة أناناس طويلة ومنتصبة في قطعة من جبن «البري» الطري، وطلبت منه أن يتذوقها.

وأخيـــراً أغلق جورغـــين الهاتف، ثم حدق في نســـخ لوحات بيكاســـو وكأنه يريـــد أن يقتلها، قال لكلود، الـــذي خلع قميصه

القطني واستلقى على بطنه أرضاً مرتدياً سرواله الداخلي فقط، إنها أمرته بأن يعلق لوحة الجويرنيكا في الرواق لكي يغطي التشققات الموجودة في الحائط، كان واضحاً أن العاهرة دوايتر متأثرة بالأساليب التي استخدمها الرسام العظيم ليعبر عن الحالات الإنسانية، تمكن كلود بالكاد من الوقوف وتشغيل أحد الأقراص المضغوطة القديمة التي يملكها جورغين، كان القرص موضوعاً فوق صندوق جواهر هندي مكتوب عليه «موسيقى براغ، مجموعة كيت للاسترخاء».

كان أحد ما يطرق الباب، يكره جورغين جميع الزوار لأنهم دائماً ما يطلبون منه القيام بعمله، لكن هذه المرة كان الطارق الفتاة الجميلة ذات الأربعة عشر عاماً ابنة الشاعر البريطاني الأحمق، كانت ترتدي تنورة بيضاء قصيرة، وكالعادة أتت لتطلب منه القيام بشيء.

«طلبت أمي أن آتي وأتأكد أنك حجزت لي موعداً لركوب الخيل غداً».

أومأ برأسه بجدية، وكأنه لم يشغل باله شيء غير ذلك: «ادخلي، كلود هنا».

عندما قال جورغين إن كلود هنا، بدا وكأن القرص قفز من مكانه أو علق أو حدث له شيء ما، سمعت نينا صوت كمان وصوت عواء ذئب وصوت المغنية تهمس بكلمة تشبه كلمة «عاصفة ثلجية»، رمت بنظرة خاطفة إلى كلود الذي كان يرقص بسرواله الداخلي، كان ظهره ناعماً جداً، وقد لوحته السمرة، ثم حدقت بالحائط عوضاً عن ذلك.

«صباح الخير يا نينا، لقد أكلت الكلاب بنطالي، لذا ليس لدي الآن سوى سروالي، إن القرص مشروخ لكنني أحبه لأنه يهدئني».

عندما نظرت إليه بشـــفقة، رأى نفســـه وكأنه حلزون دهسته بقـــاع حذائهـــا، كان جورغين يضع يديه علـــى فخذيه النحيلين، ومرفقاه معقوفان على شـــكل مثلثات، يبـــدو أنه يرغب بمعرفة رأيها في كيفية تصفيف ضفائره.

«إذن، هل تعتقدين أنني يجب أن أقص شعري؟».

«نعم».

«إنني أصفف شـــعري هكذا لكي أكـــون مختلفاً عن والدي»، ثم ضحك وضحك كلود معه.

«عاصفة ثلجية..

تبتعد..

نحو الظلام».

كان جورغين يحاول أن يتفهم الجغرافيا: «بدأت طفولتي في النمســـا، ثم أعتقـــد أنني انتقلت إلى بادن بـــادن. علمني والدي قطع الخشب بالطريقة التقليدية القديمة». قالها ثم حك رأسه: «أعتقد أنها كانت النمســـا، شيء قديم على أية حال، إذن ما نوع الموسيقى التي تعجبك؟».

«فرقتي الموسيقية المفضلة هي نيرفانا».

«إذن، تحبين كيرت كوبين بعينيه الزرقاوين، أليس كذلك؟».

أخبرته بأنها صنعت مقاماً مقدســـاً لكيرت كوبين في غرفة نومها بعد أن أطلق النار على نفسه في فصل الربيع، حدث ذلك في الخامس من أبريل على وجه التحديد، لكن تم العثور على جثته في الثامن من أبريل، يومها أدارت ألبومه الغنائي «إن أوتيرو» طوال اليوم.

أمـــال جورغين ضفائـــره إلى جانب واحد: «هـــل قرأ والدك قصيدة كيتي كيت؟».

«كلّا، سأقرؤها بنفسي».

زم كلود شـفتيه ومشى باتجاه الثلاجة: «تلك خطة جيدة، هل تريدين الجعة؟».

هزت كتفيها، كان كلود يسـعى لإرضائها بشكل مثير للشفقة، وقد فهم هزها لكتفيها على أنه موافقة قوية.

«يجـب علي أن أحضر الجعـة الخاصة بي إلى بيت جورغين لأنه لا يشرب شيئاً سوى عصير الجزر».

سـمع جورغين صوت دراجة ناريـة تقف خارج كوخه، كان ذلـك صديقه جون بول الذي كان دائمـاً يعطيه عمولة مقابل حجـوزات دروس ركـوب الخيل، لكن جون بـول يمتلك فقط أحصنـة البوني، لذا لـن يكون درس ركوب خيـل فعلياً، لكن أحصنـة البوني لها حوافر وذيل ظريـف أيضاً، عندما ركض خارجـاً من البـاب ليتمم الصفقة أخذ كلـود قميصه، ووجد صعوبة في ارتدائه ثانية.

كانت نينا تحدق في كل شـيء عداه، ثم جلست على الأرض، وقد وضعت إحدى سـاقيها فوق الأخرى، وظهرها يسـتند إلى الحائط، بينما مشـى هو إليها والجعة في يده، فتح الزجاجة لها وجلس قريباً جداً.

«إذن، هل تستمتعين بإجازتك؟».

شربت قليلاً من الجعة المُرّة، وقالت: «لا بأس بها».

«إذا أتيت إلى مقهاي فسـأريك المخلوق الفضائي الذي أبقيه في مطبخي».

ما الـذي يتحدث عنـه؟ وجدت نفسـها تقترب مـن كتفه، ثـم أدارت وجهها ناحيته، ثم استشـعرت لثانية مـن الزمن أنه

لـــم يكن متأكداً ماذا كانـــت تعني، كانت الجعة لا تزال في يدها، ثم وضعتها على الأرض.

«تبتعد

نحو الظلام

غابة».

كان كلـــود لطيفاً، وفي ذات الوقت ليس هادئاً بالتأكيد، يقول لها إنها كذا وذاك، اقتربت منه، ثم توقف عن الحديث.

«نحو الظلام

غابة

حيث تنزف الأشجار

عاصفة ثلجية».

عندما فتحت عينيهـــا قليلاً رأت أن عينيه مغلقتان، فأغلقت عينيها مرة أخرى، لكن بعد ذلك فُتح الباب، وكان جورغين يقف في وسط الغرفة يرمش بعينيه باتجاههما.

«إذاً، كل شيء على ما يرام فيما يخص درس ركوب الخيل».

كانـــت هناك غيبوبة تقبيل في الأجواء، كل شـــيء تحول إلى اللـــون الأحمـــر القاتم. وضـــع جورغين يديه علـــى فخذه ليبرز مرفقيه وتمر التموجات عبر المثلثين اللذين شكلهما مرفقاه.

«أرجـــوك، إنني أطلب منك أن تقرئي قصيـــدة كيت لتدليني على الطريق إلى قلبها».

الخميس
الحبكة

فتحت نينا باب غرفة نوم والديها، وتزلقت بجوربيها على البلاط، كانت ترتديهما رغم الجو الحار لأن قدمها اليسرى متورمة من لسعة نحلة، ولكي تمنح نفسها الشجاعة للمهمة المقبلة عليها أمضت الساعة الأخيرة تغمر جفنيها بكحل كيتي الأزرق، عندما نظرت في المرآة كانت عيناها البنيتان تلمعان وممتلئتين بالثقة، وعبر النافذة بقرب السرير استطاعت أن ترى والدتها ولورا تسيران بجانب المسبح. كان والدها قد ذهب إلى نيس لرؤية الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وكانت كيتي برفقة جورغين كالعادة؛ ذهبا لجمع مخلفات الأبقار من الحقول لنشرها في حديقته الجديدة، التي قالت إنه «استولى عليها لفترة الصيف». لم يعلم أحد السبب وراء عدم إقامتها مع جورغين في كوخه المجاور لهم، لكن أمها لمّحت لها أن كيتي قد لا تستلطفه بالقدر الذي يستلطفها به. سمعت صوت قرع قادماً من المطبخ، كان ميتشيل قد لف قطعة كبيرة من الكاكاو الداكن بمنشفة صغيرة وهو يضربها بالمطرقة بحماس، ورغم أن الجو كان حاراً في الداخل لكنها أحست بالبرودة في غرفة والديها، وكأنها في حلبة تزلج. كانت تعرف شكل المغلف لكنها لم تجده

في أي مكان، احتاجت إلى مشعل لأنها لا تستطيع إشعال الضوء لكـــي لا تلفت الأنظار إليها، وإذا دخل أحد إلى الغرفة فســـوف تتسلل إلى الحمام وتختبئ خلف الباب، وقد وجدت على الطاولة القريبة من جانب أمها من الســـرير قرص عســـل ملفوفاً نصفه بجريـــدة؛ من الواضح أنه قد تم ربطـــه بالخيط الأخضر الملقى إلى جانبه، مشت نحوه ورأت أنه كان هدية من والدها، لأنه كتب بالحبر الأسود على صفحة الجريدة:

«إلى حلوتي مع كامل حبي دائماً، جوزيف».

عقدت نينـــا حاجبيها وهي تنظر إلى العســـل الذهبي الذي يتســـرب من الفتحـــات، إذا كان والداها يحبان بعضهما رغم كل شـــيء فإن ذلك سيفســـد القصة التي اخترعتها لنفسها عندما كانـــت تفكر بوالديها، وقد كان ذلك يحـــدث في أغلب الأحيان، كانـــت دائمـــاً تحاول جمع أجـــزاء اللغز؛ ما الحبكـــة؟ كانت يدا والدها دوماً حانيتين، وأمـــسِ كانتا تداعبان والدتها، رأتهما مع بعضهما في الردهة وكأنهما في مشهد من فيلم رومانسي، بينما اصطدمت العثاث بالمصباح المشتعل فوق رأسيهما، لم يهمها ذلك الأمر لأنها كانت مقتنعة بأن والديها لا يطيقان بعضهما، لكنهما يحبانها.

كانـــت الحبكـــة فـــي قصتها التـــي وضعتها لنفســـها هي أن والدتها تخلت عن ابنتها الوحيـــدة لتحتضن الأيتام في رومانيا، وبشـــكل مأســـاوي (مأســـاوي جداً) احتلت نينا مكان والدتها في منزل العائلة، وأصبحت رفيقة والدها الغالية، وكانت دائماً غير متأكـــدة من مزاجـــه واحتياجاته، لكن تلك الصـــورة قد اهتزت عندما ســـألتها أمها إن كانت ترغـــب بالذهاب إلى مطعم مميز

بجانب البحر لتناول المثلجات التي يوضع فوقها أعواد المفرقعات، والأدهــى من ذلك، لو كان والداها بقرب بعضهما أمس، ولو كانا يفهمان بعضهما بطريقة تجعلها تحس بأنها مهمشة، فإن الحبكة لا تسير على نحو سلس.

وبعد ســت دقائق فقط مــن البحث الســريع وجدت المغلف أخيراً، وقصيدة كيتي داخلــه، توقفت عن البحث بين القمصان والمحــارم الحريرية التي كان والدها يكويها بعناية، فزحفت على ركبتيها لتبحث تحت السرير، عندما وجدت المغلف بجانب خُفَّي والدهــا وبجانب صرصورين بنيين ميتين، اســتلقت على بطنها، ومدت ذراعها لتلتقطه، كان هناك شيء آخر تحت السرير أيضاً، لكن لم يكن لديها وقت لتكتشف ما هو.

شــكلت النافذة التي تطل على المسبح مشكلة لها، كانت أمها تجلس على الدرج في الجانب الضحل من المســبح تأكل تفاحة، اســتطاعت أن تسمعها وهي تســأل لورا عن السبب وراء تعلمها للغة اليوروبا ولورا تجيــب: «لماذا لا أفعل؟ ما يزيد على المليوني شخص يتحدثونها».

جثت على الأرض حيث لم يســتطع أن يراهــا أحد، وأزالت اللاصق عن طرف المغلف، كان فارغاً، نظرت بداخله، هناك ورقة تم طيها إلى أن أصبحت بحجم علبة الكبريت، وكانت عالقة في قاع المظروف كحذاء قديم عالق في وحل النهر، التقطتها وبدأت تفتحها بحذر.

«السباحة إلى المنزل

بقلم

كيتي فينش».

بعـــد أن قرأتها لم تكلف نينا نفســـها عناء طيها إلى مربعات دقيقـــة مرة أخرى، دفعتها إلى داخـــل المظروف، ووضعتها تحت السرير مع الصراصير، لماذا لم يقرأها والدها؟ لو فعل ذلك كان سيفهم تماماً ما يجري في ذهن كيتي.

صعدت الدرج لتذهب إلى غرفة المعيشـــة الواســـعة، وأطلت برأسها عبر الباب الفرنسي.

كانت والدتها تدلي ساقيها في الماء الدافئ وتضحك، عبست نينا عندمـــا رأت ذلك، لأن ذلك الصوت نادراً ما كان يصدر عن أمها، وجدت ميتشـــيل يقلي بعض قطع الكبـــد في المطبخ، كان يرتدي أحد أكثر قمصانه زركشة وهو يطهو.

قال بسرعة: «مرحباً، هل قدمت لتتناولي قطعة؟».

اتكأت نينا على الثلاجة وطوت ذراعيها.

«ماذا فعلت بعينيك؟»، حدق ميتشـــيل بالكحل الأزرق البراق الذي يغطي جفنيها: «هل لكمك أحدهم على عينيك؟».

أخذت نينا نفساً عميقاً لتمنع نفسها من الصراخ.

«أعتقد أن كيتي ستُغرق نفسها في المسبح».

«يا إلهي»، عبس ميتشيل وسألها: «لماذا؟».

«لدي انطباع بأنها ستفعل ذلك».

لم ترغب في إخبـــاره بأنها فتحت المغلف الموجه إلى والدها، أدار ميتشـــيل جهاز «الخلاط»، وراقب الكستناء والسكر يدوران ويختلطان ليتحولا إلى عجينة ويلوثان صورة أشجار النخيل على قميصه.

«لو ألقيتك في المســـبح الآن فستطفين على السطح، حتى أنا بمعدتي الكبيرة سأطفو على السطح».

كان يقــول ذلك وهو يصرخ لتتمكن من ســماعه لأن الخلاط كان يــدور، انتظرتــه نينا ليطفئه لأنها كانــت تريد أن تهمس له بالإجابة.

«حســناً، لقد كانت تجمع الأحجار، كنت معها على الشــاطئ عندمــا كانت تبحث عنها»، وقد شــرحت له كيف أن كيتي كانت تقوم بدراسة أنابيب الصرف في المسبح، وكيف كانت تقول أشياء جنونية مثل: «لا تريدين أن يعلق شعرك في نظام الصرف».

نظر ميتشيل بحنان إلى الفتاة ذات الأربعة عشر عاماً، وأدرك أنها تغار من اهتمام والدها بكيتي، وربما تمنت أن تغرق الفتاة.

«ابتهجــي يا نينا، تناولي القليل من عجينة الكســتناء الحلوة بالملعقة، سأخلطها مع الشوكولاته»، ثم لعق أصابعه وأكمل كلامه: «وسأحتفظ ببعضها في علبة صغيرة لأضعها للفأر الليلة».

لقد كانت تعرف ســراً خطيــراً لا يعرفه أحد غيرها، وهناك أسرار أخرى كذلك، فأمس عندما كانت تجلس على سرير كيتي وتســاعدها في إزالة بــذور النباتات التي جمعتهــا، كان هناك طير ما يغرد في الحديقة، وضعت كيتي رأســها بين يديها وبكت بحرقة.

يجب أن تتحــدث مع والدها، لكنه في نيس لرؤية الكنيســة الروســية، رغم أنه قال لها إنها إذا فكرت يوماً ما في أن تصبح متدينة فســوف تكون على وشــك الإصابة بانهيار عصبي، كان هناك أمر آخر يقلقها؛ إن ذلك الشــيء الموضوع تحت الســرير يقلقها جداً، لكنها لم ترغب أن تفكر فيه لأنه أمر يتعلق بميتشيل، وكانت أمها تناديها لتذهب إلى درس ركوب الخيل.

أرض البوني

كانت أحصنة البوني تشرب الماء من خزان في الظل، والذباب يزحف على بطونها المنتفخة وأرجلها القصيرة وإلى داخل عيونها البنية التي بدت مبللة طوال الوقت. وبينما راقبت نينا المرأة التي تؤجر الأحصنة وهي تمشط ذيولها، قررت أنه سيتعين عليها إخبار والدتها بالقصيدة التي كتبتها كيتي، والتي أسمتها نينا «قصيدة الغرق». كانت كيتي تكلم صاحبة البوني بالفرنسية، ولم تبدُ كإنسانة على وشك أن تُغرق نفسها. إنها ترتدي ثوباً أزرقَ قصيراً، وكانت تزين شعرها بورود صغيرة وريش أبيض، وكأن وسادتها قد انفجرت في الليل.

«يجب أن نمشي على المسار المحدد. هناك أكياس بلاستيكية برتقالية مربوطة على أغصان الشجر، والمرأة تقول إنه يتوجب علينا تتبع البلاستيك البرتقالي، وأن نمشي إلى جانب البوني».

نينا، التي أرادت أن تكون وحيدة مع والدتها، وجدت نفسها مجبرة على اختيار بوني رمادياً بأذنين طويلتين غطتهما القروح، وتظاهرت بأنها تعيش طفولة مثالية.

لم يكن البوني الصغير في مزاج يسمح بتأجيره لمدة ساعة، فكان يتوقف كل دقيقتين ليأكل العشب وليحك رأسه بلحاء الشجر. كانت نينا متعجلة، فلديها أشياء أكثر أهمية تشغل بالها،

وأهمها تلك الأحجار التي جمعتها مع كيتي على الشاطئ، لأنها ظنت أن تلك الأحجار مذكورة في القصيدة، لقد رأت عبارة «حجارة الغرق» وتحتها خط في منتصف الصفحة.

لاحظت فجأة أن والدتها كانت تراقب كل ما حولها. عندما أشارت كيتي إلى الأشجار والأنواع المختلفة من الأعشاب، طلبت منها إيزابيل أن تعيد على أسماعها تلك الأسماء، كانت كيتي تقول إن بعض أنواع الحشرات تحتاج إلى تناول الرحيق في موجات الحر، هل كانت إيزابيل تعلم أن العسل ما هو إلا خليط من لعاب ورحيق؟ عندما يمتص النحل الرحيق فإنه يخلطه مع لعابه، ويخزن الخليط في أكياس العسل في جسده ثم يستفرغ النحل تلك الأكياس ويعيد العملية مرة أخرى. كانت كيتي تتكلم وكأنهم عائلة واحدة سعيدة، وطوال الوقت كانت تمسك بالحبل بين إبهامها وسبابتها، بينما جلست نينا على البوني بصمت وهي تحدق بكآبة في السماء الزرقاء التي تظهر بين الفينة والأخرى من بين أغصان الأشجار، تخيلت أنها لو تمكنت من قلب السماء والأرض عاليها سافلها فسيضطر البوني إلى السباحة عبر الغيوم والأبخرة، وسيكون العشب هو السماء، وستمشي الحشرات في السماء، والآن يبدو أن العلامات التي تحدد المسار قد اختفت لأنه لم يعد بإمكانهم العثور على الأكياس البلاستيكية البرتقالية المربوطة بأغصان الأشجار. خرجوا من غابة أشجار الصنوبر إلى باحة خالية بالقرب من أحد المقاهي، كان المقهى يقع مقابل بحيرة، بحثت نينا في الأشجار عن أجزاء ممزقة من البلاستيك البرتقالي، وأدركت أنهم ضلوا طريقهم، لكن كيتي لم تهتم، فقد كانت تلوح لشخص ما، وتحاول لفت انتباه امرأة تجلس وحدها على الشرفة خارج المقهى.

«إنها الدكتورة شيريدان، لنذهب ونلقِ التحية عليها».

قادت البوني في المسـافة التي تبقت من المسار، وصعدت معه ثلاث درجات إسـمنتية منخفضة، وتوجهت إلى مادلين شيريدان التـي خلعت نظارتها ووضعتها على الطاولة البلاسـتيكية بجانب كتابها.

وجدت نينا نفسها في موقف غريب وهي تمتطي البوني وكيتي تقـوده من أمام النادلة التي لم تصـدق عينيها وهي تحمل صينية من عصير البرتقال إلى عائلة تجلس على طاولة قريبة، ولكن يبدو أن المرأة العجوز قد تجمدت في كرسـيها بينما كانت على وشـك أن تضع قطعة سـكر في كوب قهوتها، وكأن منظر الشابة النحيلة بردائها الأزرق القصير وشـعرها الأحمر المنسـدل على ظهرها، وهي تقود حصان البوني الرمادي على شـرفة المقهى كـان منظراً لا يمكـن رؤيته إلا من تلك الزاوية، لم يقو أحد على التدخل لأنهم لم يفهموا المشـهد الذي يجري أمامهم، ذكّـر منظرهم نينا بذلك اليوم الذي راقبت به الكسوف من خلال فتحة في ورقة ملونة لكي لا تعميها الشمس.

«كيف حالك يا دكتورة».

شـدت كيتي الحبل، وأعطت البوني قطعة من السـكر، وبيـنما لا تزال يدها تمسك الحبل بيدها طوقت العجوز بذراعها الأخرى.

عندما خرج صوت مادلين شـيريدان من فمها بعد أن تكلمت أخيراً كان هادئاً وحازماً، كانت ترتدي شالاً أحمر يشبه رداء مصارع الثيران، ولا سيما بتلك الزخارف المطرزة على طول أطرافه.

«التزمي بالمسـار المحدد يا كيتي، لا يمكنك إحضار البوني إلى هنا».

«لقد اختفى المسار، لا يوجد مسار ألتزم به»، ابتسمت لها، ثم قالت: «ما زلت أنتظرك لكي توصليني إلى حيث تركت حذائي كما قلت لي، قالت لي الممرضات إن قدميّ كانتا متسختين».

نظرت نينا إلى والدتها نظرة خاطفة، فلمحتها تقف إلى الجانب الأيسر للبوني، كانت يدا كيتي ترتجفان، وهي تتحدث بصوت عالٍ.

«لقد فوجئت بأنك لم تخبري أصدقائي الجدد بالذي فعلتِه بي»، استدارت إلى إيزابيل وقلدت أصوات أفلام الرعب، وقالت: «الدكتورة شيريدان قالت لي إني أعاني من أعراض اكتئاب مرضية مزمنة».

لم يرق لنينا رؤية والدتها تضحك وكأنها وكيتي تتمازحان.

أحضرت الممرضة صحناً من النقانق والفاصولياء الخضراء، ووضعته أمام ماديلين شيريدان وهي تطلب منها بالفرنسية أن تخرج البوني من المقهى.

غمزت كيتي لنينا أولاً بعينها اليسرى ثم بعينها اليمنى: «النادلة ليست معتادة على تناول أحصنة البوني لإفطارها هنا».

وكأن البوني قد فهم ما قالوه، فبدأ يلعق النقانق التي على الصحن، وبدأ جميع الأطفال على الطاولة المجاورة بالضحك.

ارتشفت كيتي القليل من قهوة الدكتورة التي لم تكن تناولتها بعد، وتوقفت عيناها عن الغمز: «في الواقع»، فجأة أصبحت مفاصلها بيضاء وهي تمسك بالحبل الذي كان يبقي البوني في مساره: «لقد تسببتِ في احتجازي»، ثم مسحتْ فمها بظهر يدها، وأكملت: «لقد أحرجتُها، فاستدعت لي الإسعاف».

التقطت كيتي السكين من الطبق، كان نصله حاداً، ولوحت به بالقرب من عنق ماديلين شيريدان، صرخ جميع الأطفال الذين

كانوا في المقهى، بمن فيهم نينا، سمعت كيتي صوت المرأة العجوز بالكاد يصدر عنها وهي تخبر إيزابيل بأن كيتي مريضة، وبأن تصرفاتها غير متوقعة، كانت كيتي تهز رأسها وتصرخ فيها: «لقد قلتِ إنك ستحضرين ملابسي، لقد انتظرتك، إنك كاذبة، ظننتك لطيفة، لكنهم صعقوني بالكهرباء بسببك، صعقوني ثلاث مرات، أرادت الممرضة أن تحلق جزءاً من شعري».

كان نصل السكين يسبح في الهواء على بعد سنتيمتر واحد من عقد مادلين شيريدان اللؤلؤي الأبيض.

صرخت نينا بوالدتها: «أريد أن أذهب»، وحاولت أن تحافظ على توازنها، بينما انتصبت أذنا البوني وتحرك إلى الأمام بحثاً عن وعاء قطع السكر.

حاولت إيزابيل أن تقوم بفك ركاب السرج كي تتمكن نينا من النزول عن البوني، وكانت النادلة تساعدها، وتحاول أن تقوم بفك الإبزيم، ثم تمكنت نينا من أرجحة ساقها فوق السرج إلى الجهة الأخرى، لكنها لم تجرؤ على القفز لأن البوني انتصب فجأة على قائمتيه الخلفيتين.

«حرقوا أفكاري لكي يمحوها».

وعندما بدأت تقترب من مادلين شيريدان وهي تلوح بالسكين في وجهها الخائف المتصلب، طارت ريشتان كانتا تزينان شعرها باتجاه نينا التي ما تزال تصارع للنزول عن البوني.

«كان الأطباء ينظرون إليّ خلسة عبر فتحة تجسس، أرغموني على أكل اللحم، حاولت أن أضع الدهان على وجهي، ولكن فكي آلمني بسبب الصدمات، أفضّل أن أموت على أن يفعلوا بي ذلك مرة أخرى».

«كيتي ستغرق نفسها».

وكأنها الشـــخص الوحيد الذي يستطيع ســـماع صوتها، كانت تقول أشياء مهمة لكن ليست مهمة بما فيه الكفاية على ما يبدو.

«كاثرين ستُغرق نفسها».

كان صوتها كالهمس، حتـــى لأذنيها، لكنها ظنت أن العجوز قد سمعتها، تمكنت والدتها بطريقة ما من انتزاع السكين من يد كيتي، وســـمعت نينا صوت مادلين شـــيريدان المرتجف يقول: «يجب أن أتصل بالشـــرطة، ســـأتصل بوالدتها، يجب أن أتصل فوراً»، لكنها توقفت لأن جورغين وصل فجأة.

وكأن كيتـــي قد اســـتحضرته مـــن مخيلتهـــا، كان يكلم حارس الحديقـــة العامة الذي يهز رأســـه وعلامات الارتبـــاك بادية على وجهه.

«لديّ شـــهود»، كانت الزخارف على شـــال مادلين شـــيريدان الأحمر تتقافز للأعلى وللأسفل وكأنها الشهود الذين ذكرتهم.

أمســـكت كيتي بذراع جورغين وتعلقت به: «لا تســـتمع للدكتورة شـــيريدان، فهي مهووســـة بي، لا أعلم لماذا، لكنها بالفعل مهووسة بي، اسأل جورغين».

رمشت عينا جورغين الناعستان من وراء النظارة.

«هيا كيتي كيت ســـآخذك إلـــى المنزل»، ثم قال شـــيئاً لمادلين شيريدان بالفرنسية، ووضع ذراعيه حول خصر كيتي، كان بإمكانهم ســـماع صوته وهو يهدئها: «انسي انسي يا كيتي كيت، كلنا مرضى من التلوث، يجب أن نأخذ دواء من الطبيعة».

كانت عينا مادلين شيريدان تحترقان كالجمر، كالجمر الأزرق، أرادت أن تتصـــل بالشـــرطة، لقد تعرضت للهجـــوم، لقد تعرضت

للاعتداء، بدت كمصارع ثيران نطحه ثور، عبث حارس الحديقة العامة بعلّاقة مفاتيحه المعلقة بحزامه، كانت المفاتيح بنفس طوله تقريباً، أراد أن يعرف أين تعيش الشابة وما عنوانها، إذا أرادت منه السيدة أن يتصل بالشرطة فيجب أن يعرف تلك المعلومات المطلوبة، أخبرته إيزابيل بأن كيتي وصلت منذ خمسة أيام، ولم يكن لديها مكان تمكث فيه فسمحوا لها بالبقاء في غرفة بالفيلا التي استأجروها.

عبس جورغين عندما سمع تلك المعلومة، وعبث بالمفاتيح بإبهامه الصغير: «هل سألتِها بعض الأسئلة قبل أن تدعيها للإقامة معك؟».

أومأت إيزابيل: «لقد سألوها بعض الأسئلة، سألها جوزيف ما ورقة النبات وما الفلقة؟».

«يجب ألا نزعج الشرطة من أجل خلاف خاص بيننا، إن السيدة مرتعبة لكنها لم تتأذى».

كان صوتها ناعماً وهي تتحدث بلكنة ويلزية قليلاً.

كان حارس الحديقة يتكلم ويشير بيده: «لا بد من أن الشابة أتت من مكان ما»، ثم سكت ليومئ لرجلين يرتديان أحذية ملطخة بالوحل ويحتاجان إلى موافقته لقص قطعة خشب باستخدام منشار دائري.

أجابته مادلين شيريدان بعصبية: «نعم، لقد أتت من مستشفى في كنت ببريطانيا العظمى»، ولمست حبات اللؤلؤ المغتصبة والمربوطة بعقدة قرب عنقها، والتفتت إلى إيزابيل جاكوبس: «أعتقد أن زوجك سيأخذها لتناول المشروب في نيجريسكو غداً».

الجمعة
في الطريق إلى أين؟

توقف الناس لينظروا إليها، ليحدقوا ويحدقوا في تلك الرؤية الجميلة التي اتخذت هيئة شابة متألقة ترتدي ثوباً حريرياً أخضر، وتبدو وكأنها تطفو في الهواء، كان رباط حذاء الرقص الأبيض الذي ترتديه قد حُلّ وثاقه وكأنه يساعدها على الارتفاع فوق أعقاب السجائر وأغلفة الشيكولاته الملقاة على الرصيف، كانت كيتي فينش بشعرها الكثيف المكوم فوق رأسها تبلغ نفس طول جو جاكوبس تقريباً، وعندما سارا على «بروميناد ديز آنجلي» وضوء الشمس يخبو مع بداية المساء، كانت طيور النورس تغطي أسقف مباني نيس وهي تبدو كالثلوج، رداؤها القصير المصنوع من الريش يغطي كتفيها، وشرائطه الحريرية مربوطة بعقدة مرتخية حول عنقها، والريش يرفرف مع الريح القادم من البحر، من البحر الأبيض المتوسط، الذي مازحها جو بشأنه، وقال إن زرقته بنفس زرقة الكحل الأزرق اللامع على عينيها.

ومن بعيد تمكنا من رؤية قبة فندق نيجريسكو الوردية، كان قد بدّل ملابسه كبادرة احترام، وارتدى سترته المخططة، وحتى إنه فتح زجاجة عطر جديدة أرسلت له من زيورخ. صانع عطوره، وهو آخر الكيميائيين الذين ما زالوا على قيد الحياة في القرن

العشرين، كان يصرّ على أن الطبقة العليا للعطر غير مهمة، وأن الطبقات السفلى ستتكشف وتفوح عندما يتصبب منه العرق. لفّتْ كيتي ذراعها العارية بذراعه المخططة بخطوط عمودية حمراء لم تختلف كثيراً عن «أم أربعة وأربعين» الذي اصطاده في النهر، لم تخبره هي بما جرى مع مادلين شيريدان (لقد ناقشت الموضوع مع جورغين لساعات)، وبدوره لم يخبرها كيف وجد نفسه يجثو على ركبتيه ويشعل شمعة ثم شمعتين في الكنيسة الروسية الأرثوذوكسية. إن التوتر الذي طغى على فترة انتظار موعد تلاقيهما الثاني دفعهما لفعل أشياء لم يفهماها.

في الوقت الذي وصلا فيه إلى المدخل الرخامي، فتح لهما البواب ذو السترة القرمزية والقفازات البيضاء الباب باحترام، كانت كلمة «نيجريسكو» مكتوبة على الزجاج بأحرف ذهبية، طار رداؤها الريشي من خلفها مثل أجنحة البجعة التي صنع منها، بدت وهي تمشي وكأنها تطفو بانسياب إلى داخل الحانة ذات الإضاءة الخفيفة والمؤثثة بالكراسي المخملية ذات اللون الأحمر الباهت تحت بسط الجدران المزخرفة.

«هل ترى تلك اللوحات الزيتية للنبلاء في قصرهم؟».

رفع بصره إلى اللوحة التي تصور أرستقراطيَين شاحبَين وقورَين جالسَين على كراسٍ مزخرفة في غرف رخامية باردة.

«حسناً، إن أمي تنظف فضياتهم، وتغسل ملابسهم الداخلية».

«هل هي عاملة تنظيف؟».

«نعم، كانت تنظف الفيلا لريتا دوايتر، لهذا السبب أقيم أنا في الفيلا دون مقابل أحياناً».

احمرت وجنتها خجلاً بسبب ذلك الاعتراف، لكنه هو أيضاً

كان لديه ردّ على إجابتها.

«نعم، أمي كانت عاملة تنظيف، كنت أسرق بيض الدجاج لأعطيه لها وأخبئه في جيوبي لآخذه معي إلى المنزل».

جلسا جنباً إلى جنب على كرسيين عتيقين، كان الريش على ردائها يرتعد كلما همس: «يوجد ملاحظة لنا على الطاولة، أعتقد أنها من ماري أنطوانيت».

مدت كيتي ذراعها لتلتقط البطاقة البيضاء المسنودة على المزهرية المليئة بالورد.

«تقول الملاحظة إن كوكتيل الشهر هو الشامبانيا مع شيء ما يسمى كريم الفراولة البرّية».

أومأ جو وكأن تلك المعلومة ذات أهمية قصوى.

«بعد الثورة يتناول الجميع كوكتيل الشهر، هل نتناوله الآن على أية حال؟».

هزت كيتي رأسها بحماس.

كان النادل يقف بجانبه بالفعل لكي يلبي طلباته وكأنها شرف كبير له أن يفعل ذلك. في زاوية البار جلس عازف بسترة بيضاء قذرة، وقد بدا عليه الملل وهو يعزف على البيانو مقطوعة «إيلينور ريغبي». وضعت رجلاً على أخرى، وانتظرته ليتكلم عن قصيدتها، الليلة الماضية رأت شيئاً أخافها وأرادت أن تخبره، كان الولد يقف بالقرب من سريرها مرة أخرى، ويلوح لها بشكل محموم وكأنه يطلب منها مساعدته، وكان في جيبه بيضتا دجاج، لقد اقتحم عقلها، وبدأت هي بتغطية المرايا تحسباً لظهوره مرة أخرى، دست يديها تحت الحقيبة التي كانت في حضنها لكي لا يرى أنهما كانتا ترتجفان.

«حدثيني عن والدتك، هل تشبهك؟».

«كلا، هي بدينة، ذراع واحدة منها فقط تعادل وزني كاملاً».

«قلتِ إنها تعرف مالكة الفيلا؟».

«نعم، ريتا دوايتر».

«أخبريني المزيد عن ريتا وحافظة عقاراتها وآلامها».

لم ترغب بالحديث عن رئيسة والدتها، فعدم اهتمامه بالمغلف الذي كانت قد دفعته أسفل باب غرفة نومه كان كتلقي شظية في ذراعها، استمر في تغيير الموضوع وهي تأخذ نفساً عميقاً وتشتمّ رائحة القرنفل في عطره.

«تملك ريتا الكثير من العقارات، لدرجة أنها نفت نفسها إلى إسبانيا لتفادي دفع الضرائب، لكن ذلك يعني أنه بإمكانها البقاء في بريطانيا لعدة أيام فقط في السنة. قالت لها والدتي إنها ستصبح كشخص هارب من العدالة، واستاءت ريتا منها، وقالت لها إن طبيبها النفسي أخبرها أن عليها أن تتقبل جشعها».

ضحك، ثم غرس أصابعه في وعاء المكسرات الصغير الموجود على الطاولة.

قرعا كأسيهما وارتشفا أول رشفة من كوكتيل الشهر.

«ما قصيدتك المفضلة يا كيتي؟».

«هل تعني قصيدة كتبتُها أنا أم شخص آخر؟»، لا بد من أنه يعرف الآن أنه هو شاعرها المفضل، فقد أتت إلى هنا لذلك السبب، كانت كلماته بداخلها وفهمتها قبل أن تقرأها، لكن أفعاله ناقضت كلماته، فقد كان مرحاً طوال الوقت، كان مرحاً جداً، وظنت أنه قد يكون في خطر محدق.

«أعني، هل تحبين والت ويتمان أو بايرون أو كيتس أو سيلفيا بلاث؟».

«آه، نعم»، ثم ارتشفت القليل من مشروبها، وأكملت: «حسناً، لا يمكن مقارنتي بهم، لكن قصيدتي المفضلة هي للشاعر أبولونير».

«ماذا قلت؟».

أمالت كرسيها إلى الأمام، والتقطت قلم الحبر الذي كان يحتفظ به دائماً في جيب قميصه وكأنه ميكروفون.

«أعطني يدك».

عندما وضع يده على ركبتها وكفه القذرة تترك علامة على ثوبها الأخضر الغامق غرزت طرف القلم في جلده بقوة جعلته يقفز، لقد كانت أقوى مما تبدو لأنها ثبتت يده في مكانها ولم يستطع، أو بالأحرى لم يرغب، في أن يبعدها، كانت تؤلمه بقلمه وهي تخط بالحبر الأسود وشماً من الحروف السوداء على جلده.

إ

ن

ه

ا

ل

م

ط

ر

حدّق بيده التي تؤلمه: «لماذا يعجبك الأمر لهذه الدرجة؟».

رفعت كأس الشامبانيا الرقيق إلى فمها، وأدخلت لسانها فيه، ولعقت آخر نقطة من لبّ الفراولة.

«لأن السماء دوماً تمطر».

«هل هذا صحيح؟».

«نعم، وأنت تعرف ذلك».

«أأعرف ذلك؟».

«السماء دائماً تمطر عندما تكون حزيناً».

منظر كيتي فينش وسط المطر المستمر، تمشي في المطر، وتنام في المطر، وتتسوق وتسبح وتجمع النباتات في المطر، أثار ذلك المنظر فضوله، كانت يده لا تزال على ركبتها، لم تغطِّ القلم بغطائه، وأراد أن يطالبها بأن تعيده له، لكنه وجد نفسه عوضاً عن ذلك يعرض عليها تناول كوكتيل آخر، كانت تائهة في أفكارها، جالسة باستقامة على الكرسي المخملي، وقلمه في يدها، وطرف القلم الذهبي باتجاه السقف، تساقطت ماسات صغيرة من العرق من عنقها الطويل.

مشى نحو البار، واستند بمرفقيه على الطاولة، ربما عليه أن يرجو العاملين بأن يعيدوه إلى المنزل بالسيارة! كان الوضع مستحيلاً، كأنه يداعب كارثة، لكن الكارثة قد وقعت بالفعل، إن الكارثة تحدث الآن، لقد وقعت الكارثة بالفعل، وكانت تحدث مرة أخرى، لكنه يجب أن يحارب إلى النهاية.

حدق بالمطر الأسود الذي خطته على يده، وقال لنفسه إنه موجود هناك لكي يقوم بتهدئة إصراره على المقاومة. كانت ذكية، تعلم ما يفعله المطر، إن المطر يضعف الأشياء القاسية، ثم استطاع أن يراها وهي تبحث في حقيبتها عن شيء ما، كانت تمسك بكتاب في يدها؛ أحد كتبه، وتضع خطّاً تحت عبارة ما بقلمه، هل من الممكن أن تكون كاتبة استثنائية؟ لم يفكر بذلك، هل من الممكن أن تكون كذلك؟

طلب جو مشــروبين من كوكتيل الشــهر، قال له الساقي إنه سـيحضر الطلب إلى طاولتهما عندما يتــم إعداده، لكن جو لم يرغب بالعودة إلى الكرســي العتيق بهذه الســرعة، إنها ضليعة جداً بأمور الشــعر قياساً مع كونها عالمة نباتات، لماذا لا يخبرها بأنه قرأ قصيدتها؟ ما الذي يمنعه من القيام بذلك؟ هل يجب أن يثق بحدسه الذي يقول له أن لا يكشف لها أنه قرأ التهديد الذي وضعته في المغلــف؟ حمل الكؤوس الباردة وعاد إليها. هذه المرة شرب جو شامبانيا الفراولة بسرعة وكأنه يشرب كأساً كبيرة من الجعة الخفيفة، انحنى ليصل إليها وقبّلها، قالت له: «نحن نقبّل بعضنا في المطر»، كان صوتها خشناً وناعماً في ذات الوقت، إنه كالكراسي المخملية وكالمطر الأسود المرسوم على يده.

كانــت عيناهــا مغلقتين بإحــكام وهو يقودها باتجــاه الثريا النمســاوية الثقيلة المعلقة في ردهة الفندق، وكان رأســها يدور، وأرادت أن تشــرب القليــل من الماء، ســمعتْه وهو يســأل عامل الاستقبال الإيطالي إذا كانت توجد غرف شاغرة، فتحت عينيها، ضغط الإيطالي الرشــيق بأصابعه على لوحة مفاتيح الكمبيوتر، وقال إن هناك غرفة متاحة، لكنها مؤثثة بطراز لويس الســادس عشــر، وليس الطراز الحديــث، ولا تطل على البحر، أعطاه جو بطاقته الائتمانيــة، وقادهما أحد موظفــي الفندق إلى مصعد محــاط بالمرايا من الداخل، كان الموظف يرتدي قفازين أبيضين، ويضغــط على الأزرار، حدقت بالانعكاســات العديدة لذراع جو المبللــة بالعرق وهي تحيطها، وحرير ردائها الأخضر يرتعد وهما يتوجهان «يبحران» بصمت إلى الطابق الثالث داخل المصعد الذي عبق برائحة الجلد.

استعارات

قامت مادلين شـيريدان بدعوة إيزابيل رسـمياً إلى «ميزون روز»، ناولتها كأسـاً من شراب الشـيري، وطلبت منها أن ترتاح على الكرسـي الطويل غير المريح، بينما جلست هي على كرسي آخـر مقابل الزوجة الصحافية، وبكل رقة أزالت بضع شـعرات فضيـة مـن كأس الويسـكي التي تمسـك بها. كانـت عيناها متكدرتين كالمسـبح الذي تذمرت منه كيتي لجورغين، واعتقدت أنهـا بدأت تفقد بصرهـا، وقد جعلها ذلك أكثـر إصراراً على مسـاعدة إيزابيل جاكوبس لكي ترى الأمور بشكل أوضح. أرادت أن تسـاعدها على إدراك أن التهديد بالسـكين هو أمر خطير، وبشـكل غريب أحسـت بألم حاد في عنقها، على الرغم من أن كيتي فينش لـم تلمس عنقها على الإطلاق. كانت تتكلم بصفتها الدكتورة شـيريدان وليس مادلين عندما شـرحت لإيزابيل أنها اتصلـت بوالدة كيتي التي سـتصل في باكر صبـاح يوم الأحد، ستأتي السيدة فينش مباشرة من المطار إلى الفيلا لتأخذ ابنتها معها إلـى منزلها. حدّقت إيزابيل بخفّيهـا: «تبدين مقتنعة أنها مريضة جداً يا مادلين».

«بالطبع هي كذلك».

كلما تحدثت إيزابيل اعتقـدت مادلين أنها كانت كأنها تقرأ

نشـــرة الأخبار، كان جـــل همها هو مهمتها في مســـاعدة عائلة جاكوبس الغريبة على رؤية حقائق الأمور.

«بالنسبة لها فإن الحياة أمر عليها أن تخوضه، لكنها لا تريد أن تفعل ذلك، هذا هو ما أخبرتنا به نينا».

«لكن يا مادلين، ليس في الأمر سوى قصيدة».

تنهدت الدكتورة شـــيريدان: «لطالمـــا كان حال الفتاة فوضوياً قليلاً، لكنها جميلة جداً، أليس كذلك؟».

«نعم إنهـــا جميلة جداً»، ســـمعت إيزابيل نفســـها تقول تلك الجملة بشكل غريب وكأنها خائفة منها.

«اسمحي لي أن أسألك يا إيزابيل، لماذا دعوتِ شخصاً غريباً للإقامة في منزلك؟».

هزت إيزابيل كتفيها وكأن الإجابة واضحة.

«لم يكن لديها مكان تقيـــم فيه، وعدد الغرف لدينا أكثر مما نحتاج، أعني من يحتاج إلى خمسة حمامات يا مادلين؟».

حاولت ماديلـــين شـــيريدان أن تحدق بإيزابيـــل جاكوبس، لكـــن كان عليها أن تعترف بـــأن ما رأته كان ضبابياً، كانت تكلم نفسها بالفرنسية لأن الأشياء التي كانت تقولها لم تناسب اللغة الإنجليزية. إن أفكارها تحدث ضجة كبيرة بين شفتيها: «كاه كاه كاه»، وكأنها بالفعل مهووســـة بكيتي فينش، التي لم تعرف لماذا كان يحبهـــا جورغين وجميع من تمكنت من التلاعب بهم وإثارة فضولهم، وعلى مدى الأســـابيع الثلاثة الماضيـــة كانت تراقب عائلـــة جاكوبس من أفضل مقعد في المســـرح، وهو الكرســـي المخفي في شـــرفتها. ربما تكون إيزابيل قـــد دفعت بكيتي إلى ذراعَي زوجها السخيف، لكن تلك كانت مخاطرة، فسوف تخسر

ابنتهـــا، بالفعل لو أن زوجها أغوى الفتاة المريضة فســيكون من المســتحيل العودة إلى الحياة كما كانت في الماضي، ســتضطر إيزابيل إلى أن تطلب من زوجها ترك منزل العائلة، كما أن نينا جاكوبس مثلها مثل القتلة المأجورين، ســيتعين عليها اختيار أي الأبوين يمكنها العيش دونه، ألم تفهم إيزابيل أن ابنتها اعتادت على الحياة دون أمها؟ حاولت ماديلين شيريدان إيقاف شفتيها عن التحرك لأنهما قالتا تلك الأشـــياء البغيضة، واســتطاعت بالكاد أن ترى إيزابيل وهي تتحرك على الكرسي الطويل، فتارة كانت تضع رجلاً على أخرى وتارة تنزلها، كان الحر شديداً في الخارج، لدرجة أنهــا أدارت جهاز التكييف القديم؛ كان هديره عالياً فوق رأســها، أحســت ماديلين (على الرغــم من أنها لم تتمكن من الرؤية) أن إيزابيل امرأة شــجاعة، عندما كانت في كلية الطب راقبت الفتيات وهن يتدربن في تخصصات أمراض القلب وأمراض النســاء والتدرب كاستشــاريات في ســرطان العظــام، ثم رزقن بالأطفال، وحدث شــيء ما، فأدركهن التعب طوال الوقت. أرادت ماديلين شــيريدان مــن تلك المرأة الأنيقة الغامضة التي تجلس مقابلها في غرفة معيشتها أن تتلاشى، أن تصبح مرهقة، أن تُظهر بعض الضعف، وأن تحتاج إليها، والأهم من ذلك أن تقدّر هذا الحوار.

عوضاً عن ذلك قامت الزوجة المخدوعة بلف شــعرها الأسود الطويل بأصابعها، وطلبت شراب شيري آخر.

«متى تقاعدتِ يا ماديلين؟ كثيــراً ما أقابل أطباء يعملون في أحــوال صعبة جداً، دون نقالات للمرضى أو إضاءة وأحياناً دون أدوية».

أحسّت مادلين بألم في عنقها، مالت نحو المرآة، وكأنها تحاول تدميرها، وأخذت نفساً قصيراً، وانتظرت خروج الكلمات، أرادت أن تخبرهــا عن عملها قبل التقاعد وصعوبة إقناع المرضى ذوي الدخل المنخفض بضرورة الإقلاع عن التدخين.

«اليوم هو عيد ميلادي».

ســمعت الصوت الخافت اليائس الذي خرج من بين شفتيها، ولكــن فات الأوان على تغيير نبرتها، لو كان بيدها أن تقولها مرة أخرى لقالتها بنبرة خفـيفة ومرحة تعــبر عن دهشــتها من أنها لا تزال على قيد الحياة، بدت إيزابيل وكأنها فوجئت بالفعل.

«عيد ميلاد ســعيد! لو قلتِ لــي ذلك قبلاً لطلبت لنا زجاجة شامبانيا».

«شكراً على فكرتك»، سمعت مادلين شيريدان نفسها تتحدث الإنجليزية بلكنة الطبقة الوسطى مرة أخرى.

«لقد ســرق شخص ما حديقتي، فقد سُرقت أزهاري، وطبعاً أعرف أن كيتي فينش غاضبة جداً مني».

كانت زوجة الشــاعر الغريبة تقول شيئاً عن كيفية اعتبار أن سرقة الزهور ليســت دليلاً فعلياً على فقدان العقل، وأن الوقت قــد تأخر، وهي ترغب في اصطحاب ابنتها إلى ســريرها، ومن خلال النافذة المقابلة لها رأت البدر يسبح في السماء، ماذا كانت زوجة الشــاعر تفعل؟ كانت تمشــي نحوها، كانت تقترب منها، استطاعت أن تشتم رائحة العسل.

كانت إيزابيــل جاكوبس تتمنى لها عاماً ســعيداً مرة أخرى، وكانت شــفتاها دافئتين عندما لامســتا وجنتها، لقد آلمتها تلك القبلة بقدر الآلام التي كانت تحس بها في عنقها.

لغات أجنبية

كانت نينا نائمة لكنها مستيقظة في حلمها، وجدت نفسها تمشي باتجاه الغرفة الإضافية، حيث كانت كيتي مستلقية على السرير، كان وجهها متورماً وشفتها مجروحة، وتشبه كيتي لكن ليس بالقدر الكافي، ثم سمعت كيتي تهمس باسمها.

اقتربت نينا أكثر، كان مسحوق التجميل الأخضر يعلو جفني كيتي، وهما يشبهان أوراق الأشجار. جلست نينا على طرف الفراش، ولم يكن مسموحاً لكيتي بأن تصرّف جميع الأمور لأنها كانت خطرة، كانت تقوم بأشياء خطرة، بلعت نينا ريقها بقوة، وأعطت كيتي الميتة بعض المعلومات.

«ستأتي والدتك لتأخذك معها».

وضعت فأراً من السكر الأزرق على طرف قدم كيتي، كان له ذيل مصنوع من خيط وجدته نينا تحت سرير كيتي.

«اشتريت لك بعض قطع الصابون».

وجدت كيتي تبحث عن الصابون مراراً لأنه لم يكن هناك قطع صابون في حمامها، وقالت إنها أنفقت كل مالها في تأجير سيارة.

«قرأت قصيدتك، أعتقد أنها رائعة، إنها أفضل شيء قرأته في حياتي».

اقتبست بيت الشعر الذي كتبته كيتي لها، ليس كما كان مكتوباً في القصيدة، بل كما تذكرته.

«أقفز إلى الأمام بكلتا قدميّ
أقفز إلى الخلف بكلتا قدميّ
أفكّر بسبل للحياة».

ارتعـــد جفنا كيتي، وعرفت نينا أنهـــا أخطأت في القصيدة، وأنها لم تتذكرها جيداً، ثم طلبت من كيتي أن تخرج لسانها، لكن كيـــتي كانت تكلمها باللغه «اليديية»، أو قد تكون الألمانية، وكانت تقول: «انهضي»، وهو ما جعل نينا تستيقظ.

المال شحيح

مــــرر يديه حول عنقهـــا، وقام بفك شـــريط ردائها الحريري الأبيض المصنوع من الريش، كان السرير ذو القوائم الأربع يشبه الكهف وهو مغطى بستائر ذهبية ثقيلة، سمعت صوت جهاز إنذار ســيارة فجأة، بينما كانت طيور النورس تزعق بالقرب من حافة النافذة، وتركزت عيناها علـــى ورق الجدران، تناثر ريش ردائها الأبيض على الملاءة وكأن ثعلباً قد هاجمه، كانت قد اشـــترته من سوق للأغراض المســتعملة في أثينا، لكنها لم ترتده قبل الليلة، قرأت في مكان ما أن البجعة ترمز للســـنة التي تبدأ بالموت في فصـــل الخريف، ثبتت تلك المعلومـــة في ذهنها، مما جعلها تفكر في الطريقـــة التي تُدخل فيها البجعات رؤوســـها داخل الماء ثم تنقلب رأساً على عقب. لقد كانت تحتفظ بالرداء لزمن ما، ربما لهذه اللحظة، فقد كان من الصعب معرفة ما يدور برأسها عندما اســـتبدلت المال بالريش الذي كان يقي ذلك الطائر البحري من البرد، والذي كان يستعمل في صنع اليراع المستخدم في الماضي كأقلام، أحســـت به في داخلها الآن، لكنـــه كان في داخلها قبلاً علـــى أية حال، ذلـــك هو الأمر الذي لم تســـتطع أن تخبره إياه، لكنها أخبرته به في قصيدتها التي لم يقرأها. والآن توقف جهاز إنذار الســيارة، وسمعت أصواتاً آتية من خارج النافذة، لا بد أن

لصاً ما قد حاول سرقة السيارة لأن أحداً ما كان يكنس الزجاج المكسور.

بعد فترة أعدّ لها حوض الاستحمام.

نزلا إلى مكتب الاستقبال في الفندق، ووقفت هي تحت ضوء كريستال الثريا النمساوية الذي كاد يعمي عينيها، بينما ذهب هو ليوقع على ورقة ما بقلمه، أعاد له موظف الاستقبال الإيطالي بطاقته الائتمانية، وفتح البواب لهما الباب الزجاجي.

كان كل شيء مثلما كان من قبل، لكن مع اختلاف بسيط، عازف البيانو لا يزال يعزف أغنية «إلينور ريغبي» في البار الذي غادراه منذ ساعتين، عدا أنه الآن كان يغني الكلمات مع اللحن. كانت الأشجار المزروعة على جانبي الطريق مضاءة بزينة ذهبية متلألئة، وكيتي تهز مفتاح السيارة في يدها وهي تطلب من جو أن ينتظرها ريثما تذهب لتشتري لنفسها فأراً مصنوعاً من السكر من كشك الحلوى على المشى. كانت الفئران مصفوفة على صينية فضية، فئران وردية وبيضاء وصفراء وزرقاء. تدافعت مع امرأة فيتنامية تشتري حلوى «الخطمى» بنكهة الفراولة لتصل إلى مقدمة الكشك، تفحصت الذيول الصغيرة المصنوعة من الخيوط، وفي النهاية اختارت فأراً أزرق، وسقطت مفاتيح السيارة من يديها بينما كانت تبحث عن النقود في حقيبتها. عندما وصلا إلى السيارة أخبرته بأنها تشعر بالجوع، عادت تأتأتها لتعذبهما، هل سيمانع لو توقفا في مكان ما لتناول إحدى الوجبات؟ أجاب أنه بالطبع لا يمانع، وسيحب تناول البيتزا أيضاً، ثم وجدا مطعماً له طاولات موضوعة في الخارج في تلك الليلة الدافئة بجانب الكنيسة، كانت المرة الأولى التي يراها فيها

وهي تأكل؛ التهمت البيتزا الرقيقة بالأنشوجة، وطلب لها واحدة أخرى «بالقبار»، وشـربا النبيذ الأحمر وكأنهما العاشقان اللذان لم يفترض لهما أن يكونا عاشـقين. لعبت بالشـموع الموضوعة على الطاولة، وطبعت بصماتها على قطع الشـمع الذائب، طلب منها أن تعطيه قطعة شـمع ليحتفظ بها إلى الأبد، فقالت له إن بصماتها تغطي جسـده على أية حال، ثم أخبرته عن المستشفى في مدينة كنت، وكيف أن الممرضات من أوديسـا كن يقارنّ آثار القبل على أجسادهنّ أثناء استراحة الغداء. كتبت عن ذلك الأمر أيضـاً، لكنها لـم تكن تطلب منه أن يقرأ مـا كتبت، كانت فقط تخبره بأن ذلك سيكون جزءاً من أول مجموعة شعرية لها. وضع على طبقها بعضاً من السـلطة وبعض قطع الخرشـوف، وراقب أصابعها الطويلة وهي تمسح الزيت من الطبق بقطعة خبز.

قرعا كأسـيهما، وقالت له كيف إنهـا بعد العلاج بالصدمات كانت تسـتلقي على الملاءات البيضاء وهي مدمرة تماماً، وكانت تعلم أن الأطباء الإنجليز لم يمحوا الأفكار من رأسها.. إلخ، لكنه سـيعرف أكثر عن ذلك الأمر، ولا يوجد داع الآن لأن يتحدثا عن ذلك الموضوع، لأن الليلة كانت ناعمة هنا في أزقة نيس القديمة بعكس النهار القاسـي الذي كان يعبق برائحة المال. أومأ برأسه وهو يستمع إلى ما قالته، وعلى الرغم من أنه لم يسألها أي سؤال كان يعرف أنهما كانا يتكلمان عن قصيدتها بطريقة غير مباشرة، وبعد ساعتين، عندما وصلا إلى منتصف الطريق الجبلي، انحنت كيتي على المقود وهي توجه السـيارة عبر منحنيات خطرة ونظر هو إلى سـاعة يده، كانت سـائقة ماهرة، أعجـب بقوة قبضتها وأطراف أصابعها التي بدت كالشـمع وهي تمسك بالمقود وتوجه

السـيارة عبر المنحنيات في الطريق الجبلـي، أطلقت كيتي بوق السيارة عندما عبر أحد الأرانب الطريق، وانحرفت السيارة.

طلبت منه أن يفتح نافذته لكي تسـمع الحيوانات وهي تنادي بعضهـا في الظـلام. أنزل زجاج النافذة، وطلـب منها أن تبقي عينيها على الطريق، قالت لـه مرة أخرى: «نعم»، وعادت لتركز عينيها على الطريق، كان رداؤها الحريري ينزلق عن كتفيها وهي تنحني بجسدها على المقود، وكان لديه طلب يود أن يطلبه منها؛ طلب شائك كان يرجو أن تتفهمه:

«من الأفضل ألا تعرف إيزابيل شيئاً عمّا جرى الليلة».

ضحكت كيتي، وتقافز الفأر فوق ركبتيها.

«إيزابيل تعرف بالفعل».

سـألها: «تعرف ماذا؟»، ثم أخبرها بأنه يشعر بالدوار، وطلب منها أن تخفف من سرعة السيارة.

«لذلك السبب دعتني للإقامة معكم، إنها تريد أن تتركك».

كان من الضروري بالنسـبة له أن تتحرك السيارة ببطء، كان يعاني من الدوار، ويحس بنفسه وهو يسقط، على الرغم من أنه يعرف أنه يجلس في مقعد الراكب في السـيارة المستأجرة. هل كان صحيحـاً أن إيزابيل بدأت مرحلـة بداية النهاية لزواجهما، وأنها دعت كيتي فينش لكي تكون آخر خيانة زوجية له؟ حاول أن يتجنب النظر إلى الأسفل باتجاه الشلالات التي ترتطم بالصخور وإلى الشجيرات المقتلعة التي تعلقت بأطراف الجبل.

سـمع نفسـه يقول: «لماذا لا تحزمي حقيبة ظهرك وتسافري لرؤية حقول الخشخاش في باكستان كما تتمنين؟».

أجابته: «حسناً، هل تأتي معي؟».

رفع ذراعه التي كانت تستريح على كتفيها، وحدّق بالكلمات التي كتبتها على يده، لقد تم وصمه كما توصم القطعان ليعرف الناس مالكها، لسع نسيم الجبل البارد شفتيه، كانت تقود السيارة بسرعة فائقة على هذا الطريق الذي كان غابة في يوم من الأيام، عاش الناس في القدم فيها، ودرسوا النار وحركة الشمس، وقرأوا حركة الغيوم والقمر، وحاولوا فهم العقل البشري، حاول والده أن يصهره في غابة بولندية عندما كان في الخامسة من عمره، كان يعي أنه يتوجب عليه ألا يترك أثراً أو علامة لوجوده لأنه يجب ألا يجد طريقه إلى المنزل؛ هذا ما قاله له والده: يجب ألا تعود إلى المنزل، ذلك أمر ليس من الممكن معرفته، لكن كان يتوجب عليه أن يعرفه على أية حال.

«لماذا لم تقرأ قص قص قص؟».

«عزيزتي»، سمعته يقول تلك الكلمة وهي تضغط بحذائها الأبيض على المكبح، تمايلت السيارة باتجاه حافة الجبل، كان صوته رقيقاً جداً عندما قال: «عزيزتي»، لقد تغير شيء ما في صوته، كان ذهنه مشوشاً وكأنه شرب خمسة عشر كوباً من قهوة «الإسبريسو» واحداً تلو الآخر، ثم أكل اثني عشر مكعباً من السكر. أطفأت المحرك، وسحبت المكبح اليدوي إلى الأعلى، واسترخت في كرسيها، وأخيراً، أخيراً بدأ يكلمها.

«إنه لأمر يشوبه الخداع من جانبك أن تعطيني قصيدة وتتظاهري بأنك ترغبين بسماع رأيي فيها، بينما ما تريدينه بالفعل هو البحث عن أسباب للحياة، أو أسباب لعدم الموت».

«وأنت أيضاً ترغب بالبحث عن أسباب للحياة».

انحنى ناحيتها وقبّل عينيها؛ قبّل عينها اليسرى أولاً ثم اليمنى وكأنها بالفعل أصبحت جثة.

«لستُ القارئ المناسب لقصيدتك، تعلمين ذلك».

فكرتْ في ما قاله بينما كانت تلعق فأرها الأزرق.

«إن الموت ليس بالشـــيء المهم، بل إن ما يهم هو اتخاذ القرار بالموت».

أخـــرج محرمته ليخفي عينيـــه، لقد تعهد بـــألا يظهر الندم واللامبـــالاة والرعب الـــذي يملأ عينيـــه لزوجتـــه وابنته، لقد أحبهما، أحب زوجته ذات الشـــعر الداكن، وأحب طفلته، أحبهما ولم يســـتطع أن يخبرهمـــا بما كان يدور في خلـــده لمدة طويلة. اســـتمرت الدموع بالتدفق منه رغماً عنه، كما تدفقت من عيني كيتي فينش عندما كانت في البستان المليء بالأشجار التي تعاني، والكلاب الخفيّة التي تزمجـــر. يجب أن يعتذر لعدم قدرته على كبح جماح رغباته وعلى عدم مقاومته لها حتى النهاية.

«أعتذر عمّا حصل في نيجريسكو».

«ما الذي حصل في نيجريسكو حتى تعتذر عنه؟».

كان صوتها ناعماً وواثقاً وعقلانياً.

ثـــم أضافت: «أعلم أنك تحب الحرير، لهذا الســـبب ارتديت ثوباً حريرياً».

شـــعر بأصابعها تربت على وجنته المبتلة، واشتم رائحة عطره في شعرها، إنّ تقربه منها بتلك الحميمية أوصله إلى حافة شيء صادق وخطير، لقد وصل إلى طرف جميع الجســـور التي وقف عليها في المـــدن الأوروبية؛ نهر التايمز وهو يتدفق شـــرقاً عبر جنوب إنجلترا ويصب في بحر الشمال، والدانوب الذي يبدأ في الغابة الســـوداء في ألمانيا وينتهي بالبحر الأسود، والراين الذي ينتهي في بحر الشـــمال. إن قضـــاء وقت حميم معها أوصله إلى

حافة الخط الأصفر المرسوم على أرصفة محطات القطارات حيث كان يقف متأملاً؛ بادينغتون وجنوب كينزينغتون وواترلو، ومرة واحدة في مترو باريس ومرتين في برلين، كانت فكرة الموت تدور في ذهنه لمدة طويلة، إن فكرة إلقاء نفسه في نهر ما أو أمام قطار كانت تمر في ذهنه لمدة ثانيتين وكأنها هزة أو رعدة أو غمضة عين أو خطوة إلى الأمام، لكنها حتى الآن بدت وكأنها خطوة إلى الوراء مرة أخرى، كانت خطوة إلى الوراء، إلى الوقت الذي كان يشتري فيه خمس علب جعة بسعر أربع ودجاجاً مشوياً لنينا، ثم يعد لها الشاي من نوع «تيتلي» أو «يوركشاير»، ولكن ليس «إيرل جراي»، والعودة إلى إيزابيل التي كانت توجد دائماً في مكان آخر.

لم يكن هو القارئ المناسب بالنسبة لها حتى تسأله إن كان يجب أن تعيش أو تموت، لأنه هو نفسه لم يكن موجوداً هنا. تساءل عن الكوارث التي تعشعش داخل كيتي فينش، قالت له إنها نسيت ما كانت تتذكره، وأراد هو أن ينتهي كما انتهى أمر متجر ميتشيل ولورا في إيوستون. كل ما كان مفتوحاً يجب أن ينغلق، عيناه وفمه وفتحات أنفه وأذناه اللتان ما زالتا قادرتين على سماع الأشياء. قال لكيتي فينش إنه قرأ قصيدتها، وإن صداها يدق في أعماقه منذ أن قرأها، فهي كاتبة ذات قوة لا متناهية، وتمنى أكثر من أي شيء لو فعلت الأشياء التي تتمنى القيام بها. يجب أن تسافر إلى السور العظيم في الصين وإلى الهند حيث الحيوية والأحلام، كما يجب ألا تنسى زيارة البحيرات المضيئة الغامضة بالقرب من مسقط رأسها في كمبريا، كانت تلك أشياء يجب أن تتطلع للقيام بها.

كان الظلام يســود، وقالت له إن مكابح الســيارة المستأجرة تعمل بالكاد، ولم يكن بإمكانها رؤية أي شيء ولا حتى يديها.

طلب منها أن تركز عينيها على الطريق، وألا تفعل شــيئاً غير ذلك، وبينما كان يتحدث كانت هي تقبّله وتقود الســيارة بالوقت ذاته.

«أعلم بماذا تفكر، أنت تعتقد أن الحياة لا تســتحق العيش إلا لأننا نأمل أن أمورنا ستتحسن، وأننا سنصل إلى منازلنا بسلام، لكنك حاولت ولم تصل إلى منزلك بسلام، بل إنك لم تصل على الإطلاق، أنا موجودة هنا لهذا الســبب يا جوزيف، يجب أن آتي إلى فرنسا لأنقذك من أفكارك».

السبت
نينا إيكاتيرينا

عندما استيقظت نينا بعيد الفجر صباح يوم السبت علمت فوراً أن كل شـــيء قد تغير، كانت أبواب شرفتها مفتوحة على مصراعيها، وكأن شـــخصاً ما كان موجوداً هناك طوال الليل، عندمـــا رأت ورقة صفـــراء ملفوفة وموضوعة على وســـادتها علمت أنـــه من الأفضل لها أن تعود للنـــوم، وأن تختبئ طوال اليـــوم، كانـــت الكلمات مكتوبـــة على الورقـــة الصفراء بخط مهزوز بيد شـــخص متعجل يحب أن يخـــط الكلمات على ما يبدو، انتهت من قراءة الملاحظة، وتسللت إلى الطابق السفلي، وتوجهت إلى الأبواب الفرنســـية التي تؤدي إلى المسبح، كانت الأبواب مفتوحة كما توقعت، وكانت متيقنة من المشـــهد الذي كان ينتظرها.

شـــيء ما يطفو على المســـبح لكنها لم تفاجأ بذلك، وعندما نظرت مرة أخرى رأت أن جسد كيتي لم يكن يطفو، ولكنه مغمور بالماء وهو يقف بشـــكل مستقيم، كانت ملفوفة برداء تزينه نقوش مريعة، لكنه كان قد انزلق عن جسدها، ارتطمت العوامة الصفراء بحافة المسبح وطفت باتجاه الجسد، سمعت نفسها تصرخ:

«كيتي؟».

كان الرأس غائصاً تحت سطح الماء ومائلاً إلى الخلف، وكان الفم فاغراً، ثم رأت العينين، كانتا كالزجاج ومفتوحتين ولم تكونا عيني كيتي.

«أبي؟».

لم يرد والدها عليها، ظننت أنه كان يمازحها، سيخرج من الماء في أي لحظة ويصرخ في وجهها.

«أبي؟».

كان جسده كبيراً جداً وصامتاً، كل الضجة التي كانت تصدر من والدها وجميع الكلمات والدمدمة والتعبيرات التي في داخله اختفت تحت سطح الماء، كل ما تذكره أنها كانت تصرخ بينما أخذت الأبواب تصطفق فجأة، غاصت والدتها في المسبح وميتشيل أيضاً، وجّه كلاهما الجسد حول العوامة وحاولا بصعوبة إخراجه من المسبح، سمعت نينا أمها وهي تصرخ بشيء للورا، راقبت ميتشيل وهو يضع الجسد على الحجر المرصوف ويضغط بيديه عليه، سمعت صوت تلاطم المياه عندما رفعت والدتها الرداء من المسبح، لم تفهم لم كان الجسد ثقيلاً، ولكنها رأت والدتها بعد ذلك تخرج شيئاً من الجيب، كان حجرا بحجم كفّها فيه ثقب في المنتصف، ثم رأتها نينا وهي تخرج بصعوبة ثلاثة أحجار أخرى من تلك التي جمعتها من الشاطئ مع كيتي، وظنت أن الوقت قد تقدم لأن الشمس كانت ترتفع فوق المسبح، وكان لون الماء قد تغير، كانت ترتجف وهي ترفع نظرها إلى السماء لتبحث عن الشمس، لكنها لم ترها، دس ميتشيل إصبعه في فم والدها ثم سد أنفه، وكان يلهث وهو يقبّل والدها مراراً وتكراراً.

«لا أعلم.. لا أعلم».

ركضت لورا إلى داخل الفيلا وهي تصرخ بشيء عن كتيب معلومات الفيلا، أين كان جورغين؟ الجميع ينادي جورغين، أحسّت نينا بشخص ما يلمس رأسها، كانت كيتي فينش تربّت على شعرها ثم تدفعها عبر الأبواب الفرنسية، وتطلب منها أن تجلس على الكنبة، بينما تساعد لورا في البحث عن كتيب المعلومات. كان ذلك كل ما سمعته خلال الدقائق الخمس التالية، أين كان الكتيب؟ هل رأى أحد ما ذلك الكتيب؟ على الرغم من ذلك كانت نينا لا تزال غير متأكدة: من مات، ومن بقي على قيد الحياة، إن كان والدها أو كانت كيتي، لكنها جلست على الكنبة كما طلب منها، وحدّقت بنسخ لوحات بيكاسو المعلقة على الحائط، رأت عظام سمكة ومزهرية زرقاء وليمونة، وعندما سمعت لورا تصرخ: «لونه أصفر، كتيب المعلومات عبارة عن ورقة صفراء»، استوعبت أنها كانت تمسك بورقة صفراء بيدها ولوحت بها للورا، بدت لورا مرتعبة ثم انتزعتها من يدها وركضت إلى الهاتف، رأتها نينا وهي تحدّق بالأرقام.

«لا أعرف كيتي، لا أعرف بأي رقم أتصل».

كانت كيتي تقول شيئاً بصوت بارد خال من الانفعال.

«إن المستشفى في مدينة جراس شارع شومان دو كلافاري».

بدأت السماء تمطر، وسمعت نينا صوت نشيجها، كانت روحها ترفرف خارج جسدها، بينما كانت تنظر إلى نفسها وهي تقف بجانب الأبواب الزجاجية.

وصلت سيارة الإسعاف، وبدأت الشرطة بالوصول، وكانت ماديلين شيريدان موجودة أيضاً، كانت تصرخ في ميتشيل.

«ارفع رأسه للأعلى وأمسك أنفه»، وشاهدت نينا أصابعها وهي تضغط على عنق والدها بحثاً عن النبض.

«لا تضعه في وضع التعافي يا ميتشيل، أعتقد أنه مصاب في عموده الفقري».

ثم سمعت العجوز تصرخ: «ها هو..».

بدأت نينا تنتحب بقوة تحت المطر لأنها حتى الآن لم تكن متأكدة مما حدث، وأثناء ركضها نحو والدتها سمعت صوت بكائها يرتفع، بدا الصوت وكأنها تضحك، لكنها لم تكن كذلك، ظهرت أسنانها وأحست بطعنات في حجابها الحاجز، كانت تتجهم، وكلما زاد بكاؤها زاد تجهمها، أحست بوالدتها وهي تضمها إلى صدرها وتربت على عنقها، كانت والدتها ترتدي قميص نوم مبلّلاً وبارداً، ورائحتها تعبق برائحة المساحيق غالية الثمن. في طفولتها كانت تلعب لعبة مروعة، فكانت تجبر نفسها على اختيار أي من والديها تفضّل أن يموت، لقد عذبت نفسها بتلك اللعبة، والآن دفنت وجهها في بطن أمها لأنها عرفت أنها خذلتها.

كان ملمسها الناعم على خدها يزيد من بكائها، وظنت أن والدتها عرفت ما كانت تفكر فيه لأنها سمعتها تهمس في أذنها بكلمات مفهومة بالكاد وكأنها ورقة شجر في فصل الخريف تتقاذفها الرياح: «لا عليك، لا عليك».

تم حمل والدها على نقالة المرضى، وبدأت الشرطة بإفراغ ماء المسبح، كان جورغين موجوداً أيضاً، وكان يمسك مكنسة بيده وهو يكنس حول أصص النباتات بنشاط كبير، وعلى غير العادة كان يرتدي بزة عمل كحلية جعلته يبدو كمشرف بالفعل.

الأخبار

مشـــت إيزابيل باتجاه المسعفين، وأمسكت يد جوزيف بيدها، وللوهلـــة الأولى اعتقدت أن طابـــوراً من النمل كان يزحف بخط مستقيم باتجاه مفاصله، وعندما نظرت مرة أخرى رأت الحروف المكتوبة بالحبر الأسود الباهت تتشابك ببعضها لتكون عبارة:

إ
ن
ه
ا
ت
م
ط
ر

كانت تســـمع طنين النحل بالقرب منها، وسمعت نفسها وهي تصر على أن ما يحتاج إليه زوجها هو عربة إســـعاف جوي، لكن أغلب ما كانت تردده كان اسم زوجها.

جوزيف، أرجوك. جوزيف، جوزيف. جوزيف، أرجوك.

لمـــاذا جرح يده هكذا؟ أين فعل ذلـــك؟ وكيف تمكن من فعله؟ وماذا كان يعني؟ ضغطت على أصابعه، وطلبت منه أن يشرح لها

لماذا فعل ذلك؟ وعدته أنها ستفسر له أفعالها في المقابل، وسوف تفعل ذلـــك في الحال، قالت له إنها ودت لو أنها أحســـت بحبه يتساقط عليها ويغمرها كالمطر، كان ذلك هو المطر الذي اشتاقت لـــه طوال فترة زواجهما غير التقليدي، طلب منها المســعفون أن تبتعـــد عن طريقهم، لكنها لم تتحرك لأنها كانت دائماً تبتعد عن طريقـــه، إن حبها له كان أكبر مخاطرة قامت بها في حياتها . إن ذلك الشـــيء، ذلك التهديد، كان يتربـــص بهما هناك في جميع كلماتـــه، وكانت تعرف ذلك منذ البدايـــة، لقد كانت تعرف ذلك، لقد دفن ذخائره وقنابله الحية في جميع طرق كتبه ومســـاراتها، كانت مدفونة تحت قصائده، لكن إن مات الآن فســـيصبح العالم الـــذي ســـتعيش فيه ابنتهـــا مدمّراً إلى الأبـــد، وهي في الأصل تتملكها أقصى درجات الغضب.

جوزيف. أرجوك. جوزيف. جوزيف. جوزيف. أرجوك.

فجأة أحســـت بشـــخص ما يدفعهـــا ليبعدها عـــن الطريق، واشتمّت رائحة الدم.

رجل ضخـــم الجثة أصلع الرأس يحمل مسدســـاً في حزامه يســـألها بعض الأســـئلة، كانت إجاباتها على جميع الأسئلة غير واضحة: ما اسم زوجها؟

في جواز سفره اسمه جوزيف نوجرودسكي، وفي بقية هوياته كان اســـمه جو هارولد جاكوبس. في الواقع لم تعتقد أن اســـمه كان نوجرودســـكي، لكنه الاسم الذي كتبه والداه في جواز سفره علـــى أية حال، ولـــم تخبره بأن لدى زوجها عـــدة ألقاب أخرى: ج.ه.ج، جـــو، جوزيف، الشـــاعر المشـــهور، الشـــاعر الإنجليزي، الشـــاعر الأحمق، الشـــاعر اليهودي، الشـــاعر الملحد، الشاعر

العصري، شـــاعر ما بعد الهولوكوست، الشاعر زير النساء. إذن ما مسقط رأس السيد نوجرودسكي؟ بولندا، لودز، 1937. لودز تلفظ بالإنجليزية وودج، لكنها لم تعرف كيف تلفظها بالفرنسية. أسماء والديه؟ لم تكن متأكدة من التهجئة الصحيحة لاسميهما، هل لديه إخوة أو أخوات؟ نعم، لا، لديه أخت، كان اسمها فريجا.

بدا المحقق حائراً، قامت إيزابيل بعمل الشـــيء الوحيد الذي تتقنه.

أطلعته على موجز الأخبار ولو أنها كانت أخباراً قديمة بعض الشـــيء، كان زوجها في الخامســـة من عمـــره عندما تم تهريبه إلى بريطانيا عـــام 1942 بهوية ووثائق مزورة بعد أن كاد يموت جوعـــاً، بعد وصوله بثلاثة أيام تم ترحيـــل والده ووالدته وأخته ذات الأعـــوام الثلاثة إلى مخيم الموت فـــي كليمنو غرب بولندا. المحقق الذي لـــم يفهم الكثير من الإنجليزية رفع يده أمام وجهه وكأنـــه يحاول إيقاف المرور في شـــارع مزدحم، ثـــم قال لزوجة الشـــاعر اليهودي إنه لأمر مؤســـف أن الألمان احتلوا بولندا عام 1939، لكنـــه اضطر لأن يلفـــت نظرها إلى أنه حالياً مشـــغول بالتحقيق فـــي جريمة قتل في الألب البحريـــة عام 1994. هل تؤيده بأن السيد نوجرودسكي، أو بالأحرى السيد جاكوبس، قد ترك رسالة انتحار لابنته؟ أم كانت قصيدة؟ أم كانت دليلاً؟ مهما كان اسمها فقد كانت موجهة إلى نينا إيكاتيرينا. دس الورقة في ظرف بلاســـتيكي، على أحد جانبي الورقة كانت توجد إرشادات حول كيفية تشـــغيل آلة غســـل الأواني، وعلى الجانب الآخر كان هناك خمســـة أسطر مكتوبة بالحبر الأسود، على ما يبدو كانت تلك الأسطر إرشادات لابنته.

لم تتجاوز الساعة السادسة صباحاً، لكن القرية بأكملها سمعت الخبر، وعندما وصل كلود إلى الفيلا حاملاً كيساً مليئاً بالخبز قام ميتشيل، الذي لم يكن مهتماً بتناول أي قطعة من الخبز على غير العادة، بطرده من الفيــلا، وعيناه ما زالتا تحرقانه من الكلورين الــذي كان يوجد في المــاء العكر. صرخ المســعفون بالتعليمات لبعضهم، وقالت إيزابيل لنينا إنها سترافقهم في عربة الإسعاف أيضاً، ســيضعون الأنابيب في أنف والدها ويغســلون معدته في الطريق إلى المستشــفى، بدأت عربة الإسعاف رحلة النزول إلى أسفل الجبل، أحست نينا بكلود وهو يوجهها ويرافقها إلى منزل مادلين شــيريدان الذي يســمى بالمنزل الزهري على الرغم من لونــه الأزرق، وفي الطريق إليه رأت جورغين وذراعاه حول كيتي فينش، وعندما سمعت ميتشيل يصرخ: «ارحلي ولا تعودي»، سمع الجميع ما قالته كيتي بعد ذلك، كانت تهمس ولكن همســها كان كالصراخ، لأن ما قالته كان الأمر الذي يعلمه الجميع.

«لقد أطلق النار على نفسه بواسطة أحد أسلحتك يا ميتشيل».

كان جســد ميتشــيل الضخم منحنياً، وشــيء ما كان يحدث لعينيه وفتحات أنفه وفمه، كانت الدموع والمخاط واللعاب تتدفع من الفتحات الموجودة على وجهه. دون إطلاق أية رصاصة هناك خمس فتحات في وجهه، هناك فتحات للتنفس وللرؤية وللأكل، كان الجميع ينظر باتجاهه لكنه لم ير إلا الضباب، ذلك الحشــد مليء بالثقوب مثله، كيف ســيحمي نفسـه من الحشــد عندما يبدؤون بتوجيه أصابع الاتهام إليه؟ ســيخبر الشرطة بالحقيقة، عندما اختفى الســلاح الفارسي المصنوع من الأبنوس اعتقد أن الفتاة المجنونة ســرقته لتعــاقبه على اقتناصــه للحيــوانات.

أخذ جرس الهاتف يدق ثم توقف عن الرنين، وسُـــمع عويل لورا، كانت عضلاته تؤلمه بعد أن قام بجر الجسد إلى خارج الماء، لقد كان الجسد ثقيلاً، كان ثقيلاً كالدب.

نينا جاكوبس
لندن ٢٠١١

كلما أحلـــم بحلمي الذي راودني طوال القرن العشـــرين وأنا أرى فيه أبي، كنت أســتيقظ وأنســى على الفور كلماتي السرية لـ «إيزي جيت» و«أمازون»، وكأنها اختفت من رأســي وذهبت إلى رأسه وإلى مكان ما في القرن الواحد والعشرين. في الحلم كنت أراه جالســاً معي على متن حافلة تعبر جســر لندن وهو يراقب المطر متســاقطاً على مدخنة متحف «تيت مودرن»، إن الحوارات التي أجريتها معه لا تنتمــي إلى هذا القرن إطلاقاً، لكنني كنت أســأله لماذا لم يخبرني قط عن طفولتــه؟ ويرد علي بأنه يتمنى أن طفولتي لم تكن ســيئة جداً، ويســأل إن كنت أتذكر القطط الصغيرة؟

كانت رائحة قطتَي عائلتنا (آجنييسكا وأليشيا) دائماً كرائحة البهائم، وكان تصفيف فرائهما بمشـــط أبي هو من متع طفولتي المفضلة، كانتا تستلقيان في حجري، وكنت أمشط فرائهما بينما كانتا تهرهران وتربتان على يدي ببراثنهما الناعمة، وعندما كنت أقترب من مؤخراتهما كان الفرو هناك متشابكاً جداً لأنهما كانتا صغيرتـــين، ولم تتعلما بعـــد أن تنظفا نفســيهما بلعق فرائهما. أحيانـــاً كنت أترك كرات الفراء على الكنبـــة، وكان أبي يتظاهر

بأنــه يبتلعها، كان يفتح فمه ويتظاهر أنه ابتلع كرة واحدة، وأنها علقــت في حلقه وكأنه يختنق. قضى والــدي عمره وهو يحاول فهم التعابير الإنجليزية مثل «لديه ضفدع في حلقه»، و«فراشات في بطنه»، و«دبابيس وأبر في ســاقه»، و«شــوكة في خاصرته»، ولماذا كانت هناك «قصاصة على كتفه»، ولو أنهم «ســعلوا كرات من الفرو» لدرس ذلك التعبير أيضاً.

يقول: لا، لم أكن لأدرس كرات الفرو.

اتفقنا على أننا تعلمنا أن نتخبط معاً، كان هو يغسل ستراتي وبناطيلي وقمصانــي، ويخيط الأزرار على ســتراتي الصوفية، ويبحــث عن جواربي الضائعــة، ويصر على ألا أخاف من الناس الذين يكلمون أنفسهم على متن الحافلات.

يقول أبي: نعم، إن ذلك بالضبط ما تفعلينه الآن.

أجبتــه بكلا، لــم أكن أفعل ذلك الآن، فأنــا لم أكن أعبر عن أفكاري بصوت عال، ســيكون ذلك ضرباً من الجنون، لا أحد في هذه الحافلة يستطيع سماعي وأنا أحدثك.

قــال: بلى، لكن لم يكن ذلك مهمــاً على أية حال لأن الجميع كانوا يتكلمون بصوت عال في هواتفهم.

مازلت أحتفظ بمنشفة الشــاطئ التي اشتراها لي من محل للهدايا التذكارية في نيس، كان على المنشــفة صورة سماء كبيرة زرقــاء كتب عليهــا عبارة «كوت دازور نيس بــاي ديز آنج» بخط أصفر، أما الســياح الموجدون على الشــاطئ فتمت الإشارة إلى وجودهم عن طريق وضع نقط سوداء، وخلف الشاطئ كان يوجد شارع تصطف على طوله أشجار النخيل، وعلى اليمين توجد قبة فندق نيجريســكو الوردية يعتليها علم فرنسا مرفرفاً في سماء

المنشـــفة الزرقاء، ما كانت تفتقده في الصـــورة هو كيتي فينش بشعرها النحاسي ينسدل على خاصرتها وهي تنتظر والدي ليقرأ قصيدتها. لو تمت تسميتها باسم أحد الطيور فمن المحتمل أنها كانت سوف تطلق نداءً غريباً، ربما كان نداء استغاثة إلى والدي، لكنني لا أستطيع التفكير فيها ولا في الحصى التي جمعناها معاً دون أن أتفـــادى الوقوع عبر ثقوب تلك الحصى إلى خارج عالمي، لذلك سأســـتبدلها بصورة والدي وهو يمشي في شوارع خامس أكبر المدن الفرنســـية، متخطياً آثارها وتماثيلها، ليذهب لشراء شريحة من قرص العسل لوالدتي.

العـــام هو 1994 لكن والدي (الذي يحمـــل المثلجات في يده وليس هاتفاً محمولاً) يجري حواراً مع نفســـه، وعلى الأغلب كان ذلك الحوار يتعلق بشـــيء حزين وجاد وقـــع في الماضي، لم أكن أعـــرف أين يبدأ الماضي وأين ينتهـــي، لكن إذا كانت المدن تحدد الماضي بإنشـــاء التماثيل البرونزية الجامدة بموضع موقر واحد، وعلى الرغم من محاولاتي للســـيطرة على الماضي وتهذيبه، فإن الماضي يتحرك ويهمس لي طوال كل يوم.

في المرة القادمة التي أجلس فيها في حافلة تعبر جسر لندن أثنـــاء هطول المطر علـــى مدخنة «تيت مـــودرن» يجب أن أخبر والدي بأنني عندما أقرأ الســـير الذاتية للمشاهير فإنها لا تثير اهتمامي إلا عندما أقرأ عن هروبهم من عائلاتهم وقضائهم بقية حياتهم في محاولة نســـيانهم، لذلك الســـبب عندما أقبّل ابنتي قبل أن تنام في الليل، وأتمنى لها أحلاماً ســـعيدة فهي تفهم أن أمنيتـــي لها لطيفة، لكنها تعلم أيضاً كما يعلم جميع الأطفال أنه من المســـتحيل أن يملي عليهم الآباء أنواع أحلامهم. هم يعلمون

أنهـــم هم فقط الذين يملكون القـــدرة على الرحيل مع أحلامهم إلى خارج هذه الحياة، ثم العودة إليها، لأن الحياة يجب أن تعيدنا إليها دائماً، رغم ذلك أنا دائماً ما أقول لها تلك الجملة.

أقولها لها كل ليلة، ولا سيما عند هطول المطر.

التعقيب

دخول الدوامة
التجارة والسياسة والزواج والحياة العائلية

منــذ بداية التسـعينيات إلى منتصفها، لو كنــت أنت كاتباً شــاباً طموحاً فمن المؤكد أنه عندما ترفع رأســك وتنظر إلى الســاحة الأدبية البريطانية فستبرز شــخصية واحدة من بين كل الشخصيات: «ديبورا ليفي»، بمجرد قراءة صفحتين من أي عمل لها فسيتضح لك على الفور أنها كاتبة تتقن الفنون المرئية والتصويرية والفلسفية والأدائية، ضمن مجال الكلمة المطبوعة. كانــت مطلعة على أعمــال لاكان ودولــوز وبارثس ومارجريت دوراس وجيرترود ســتاين وبالارد، بالإضافة إلى كافكا وروب جريليت، وكانت توظف جميع تلك الشــخصيات بطرق جديدة ومثيرة، كتراقص العواطف والأفكار الذي يميز أســلوب «بينا بوش»، فرواياتها لا تركز فقط على المنطقة المتداخلة (نستعير هنا مصطلح بورو) التي تخلقها، حيث تتبادل الرغبة والشــك أدوارهما، وكذلك الخيال والرموز، وحتى الأشياء المألوفة تأخذ بعداً قوياً وغريباً كمنحوتات «دوشــامبيان» المعروضة للبيع، أو الأشياء التي نتوقع أن يراها فرويد في أحلامه.

لذلك السـبب إن نشـر رواية «هكذا، وقصص أخرى» يعتبر مكسـباً كبيراً لدار نشر «آند أذر سـتوريز»، لتستهل بها عامها الأول في عالم النشر.

إن كانت حبكة «السـباحة إلى المنزل» والمكان الذي تدور فيه مسـتعارين بطريقة سـاخرة تقريباً من الروايات الرصينة التي تتناول قضاء بعض الإنجليز من الطبقة الوسـطى إجازاتهم في الخارج، فإن أوجه التشابه تنتهي هنا.

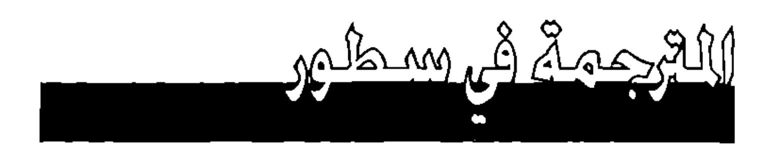
إن الحبكة الحقيقية للكتاب تتكشـف من خلال فئران زرقاء مصنوعة من السـكر تنطلق مسـرعة من أكشـاك الحلوى إلى الكوابيـس، أو من خلال الأحجـار ذات الثقوب التي تتحول إلى منظـار للتلصص (أو لحجب النظر)، ثم تتحـول لأثقال مميتة، وبعد ذلك تتحول ببساطة إلى ثقوب.

إن ما يربط ذلك السـرد الملون بعضه ببعض، حتى وهو يمزق شـخصياته، هو (بأسـلوب فرويدي تقليدي) الرغبـة: الرغبة والوجه الآخر الذي لا يتجزأ منها، وهو الرغبة بالموت، ويتجسد ذلك (بتجرد تام وبشـكل بدائي تقريباً، ثم يطفو على الماء الذي سـيعود إليه) في شخصية كيتي فينش، التي كُتب عليها الفشل، وكانت مهووسـة بالرجال الأكبر سـنّاً منها، مثلها مثل سـيلفيا بلاث وإيدي سـيدجويك، اللتين تمـران بمرحلة ما بعد الانهيار العصبي في فيلم «تشـاو.. مانهاتن»، كمـا أنها متقلبة وعرضة للانهيار وهي تطفو فوق المسبح، وينجذب إليها وإلى العاصفة أو الدوامة التي تجلس بجانبها كالحورية، عوالم التجارة والسياسة والزواج والحياة العائلية، وعالم الأدب ذاته الذي تم تجسيده في شخصيات تاجري البضائع الغريبة، والمراسلة الحربية، والشاعر

المشهور، الذين تم جمعهم معاً بصورة خرقاء. وفي الطرف الثاني من الطيف توجد تلك الفتاة التي ستبرز كبطلة الرواية الحقيقية ووريثة صدماتها التاريخية.

توم مكارثي

يونيو ٢٠١١



نورة إبراهيم البلوشي

- كويتية الجنسية، ولدت العام 1982.
- حاصلة على ماجستير في الترجمة من جامعة الكويت.
- تعمل مترجمة في وكالة الأنباء الكويتية (كونا).
- سبق لها العمل مع مجلة الثقافة العالمية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.



د. أحمد عبدالرحمن البكري

- من مواليد القاهرة العام 1940.
- حاصل على الدكتوراه من جامعة لندن في اللغويات التطبيقية (قواعد اللغة الإنجليزية) العام 1974.
- له عدة أبحاث في قواعد اللغة الإنجليزية منشورة في المجلة العربية للعلوم الإنسانية التي تصدر من جامعة الكويت.
- له عدة مؤلفات في قواعد اللغة الإنجليزية للطلبة العرب، وعدة مراجعات للترجمة في سلسلة «من المسرح العالمي».

ما صدر من هذه السلسلة

ما صدر من هذه السلسلة

349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	مسرحيتا: -1 محنة الأخ جيرو -2 تحوُّل الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «آنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيتا: -1 صناعة تاريخ - 2 ترجمات	تأليف: برايان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتتزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيتا: -1 تلاميذ الخوف -2 الغزاة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام سارويان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصُــورة (مسرحية)	تأليف: سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندچي ماليشكا ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروچيك
364	سبع نساء... سبع قصص	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	تأليف: نويل كاورد
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: رُوبين دايڤيد غونساليس غاليغو
367	مسرحيتا: -1 سهرة في المقهى -2 موت ممثل مشهور	تأليف: تيان هان
368	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: مايكل هلمان
369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجى شانيافسكي
370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوستر
371	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو همباطي با
373	الليلة التي أمضاها ثورو في السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي

ما صدر من هذه السلسلة



البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	**مدة الاشتراك:**
المبلغ المرسل:	**نقداً/ شيك رقم:**
التوقيع:	**التاريخ: / / ٢٠٠م**

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

السباحة إلى المنزل

هذه الرواية هي الأولى للكاتبة ديبورا ليفي، بعد خمسة عشر عاماً من الانقطاع عن كتابة الروايات ونشرها، وقد تم ترشيحها لجائزة مان بوكر للكتاب العام 2012.

الرواية مثيرة جداً وقصيرة وبسيطة وصادمة، ومن بين المواضيع التي تتناولها تأثير الماضي على الحاضر، وتأثير المرض العقلي على الناس الذين يبدون على ما يرام بسهولة. كما تتناول الصراعات التي تشوب الحياة الزوجية والعائلية، وتتطرق لمسألة عدم الثقة بالنفس في مرحلتي الشباب والكهولة.

كما تبدو جميع التفاصيل في الرواية غير مهمة في البداية، ولكن يتضح لاحقاً بأنها قطعٌ من اللغز تجتمع لتكشفه للقارئ.

فصول الرواية قصيرة، لكن أحداثها سريعة، وفي كل فصلٍ تصل حبكة ما تكون جزءاً من الرواية إلى ذروتها ثم تهدأ، فالكتاب كله يبدو على وشك الانفجار في كل صفحة. وعلى القارئ أن يقاوم رغبته بالإسراع في القراءة ليكتشف ما سيحدث بعد مشوار كيتي وجو في السيارة على الجبل، لأن «السباحة إلى المنزل» يجب أن تُقرأ بتمهل.

في هذه الرواية فكرة المنزل غير واضحة، والسلامة فكرة مستبعدة، ويُغلق القارئ الكتاب وهو راضٍ عن القصة، وفي الوقت ذاته تَوتّر منها: فهي تجربة ممتعة ومقلقة قليلاً، تقذف بنا في أعماق رواية ليفي التي رشحت لنيل جائزة بوكر.

رقم الإيداع: 2014/606

ردمك: 978-99906-0-434-4

إبداعات عالمية